عبدالستار ناصر

بقية ليل

Riyadh Hamza

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافيـة العـامة

بغداد ــ ١٩٩٦

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

بقية ليل

«٧١ قصة قصيرة جـداً»

عبدالستار ناصر

٨١٣و٩٢
ع ٥٢٢ عبدالستار ناصر
بقية ليل ٧١ قصة قصيرة جدا ــ عبدالستار ناصر ٠ ــ بغداد ــ دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٦ ٠
٩٠ ص ، ٢٤سم
١ ــ القصص العربية ــ العراق
آ ــ العنوان
م ٠ و
١٩٩٦/٢٥٥
المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٥٥) لسنة ١٩٩٦

هل احتاج الى مقدمة ؟

المبدع ــ كما يقول صاموئيل بتلر ــ هو من يستطيع ان يقول الكثير بالقليل من الكلمات •

وهــذه القصص القصيرة جدا ، أُحبها وأخاف عليها من النسيان وهي أقرب الى نفسي من بعض قصصي ••

سنوات" من الكتابة ، كنت أعشقها برغم آلامها وجنونها وخرابها وأحلامها وها انا بعد ان فارقتها واصبحت بعيدا عنها ، مازلت انظر اليها بحب لاذع : انها سنواني أنا ، عشتها بقلب خاشع ماكان يصلّي عنــد معبد سوى الابداع ، وكان يرى فى هذا المعبد كل ما يشتهي من ضحكات ودموع وابطال ونساء ومدن بعيــدة •

لا اريد اليوم ان اسأل عن عذاب قديم او حلم طافر مات أمام عيني ، يكفي ما جرى •

زهرة ذبلت ، او قطرة ماء تبخرّت ، وأعوام تمشي مثل أرنب مسعور •

لكنني تمكنتُ بذاكرة يطاردها الحب ، من جمع أحزاني وقصصي القصيرة جدا ، مع أخطائي ، وتركتها فى هذا الكتاب الصغير •

ولا ارجو أي شيء من (القاريء) العزيز غير ان يقرأها

ببطء ، واحدة واحدة ، تماما كما تأكل العنب ، حبة بعد حبة ، بهدوء وبطء .

ذلك انها مكتوبة ببطء أيضا ، ولن يناسبها أن تؤخذ دفعة واحدة كما الدواء .

أشكركم .

عبدالستار ناصر

١٩٩٥

* هذه القصص جاءت عبر ما يقرب من ثلاثين سنة ، جمعتها من ذاكرة المجلات والصحف العراقية والعربية ، وتركتها على حالها الاول ، حرصا على الشكل الذي كانت عليه يوم نشرها .

بصراحة، لا أعلم الكثير عن تاريخ كل واحدة من هذه القصص القصيرة جدا ، لكني اتذكر أنني كتبتها على غفلة من الوقت والنساء والنقد ، تماما كما يفعل « المجرم » قبل اقترافه الجريمة.

اليوم ، سأعترف ، بأنني سعيد جدا بهذه القصص او هذه الجرائم القصيرة جدا .

المؤلف

١ * فلاســفة •

كان المقهى جدّ ضيق ، زبائنه مرغمون على ســماع كل ما يقال فيه ،لا احد يترك مكانه فى هذا المقهى، فقد كان شاي السيد (عواف) من أحسن أنواع الشاي الهندي •

فى زاوية من المقهى ، ولأول مرة ، يرى الزبائن رجلين بثياب نصف نظيفة ، لحية الاول أطول قليلا من لحية الثاني ، أمامهما حفنة من الكتب : صفراء متهرئة بلا أغلفة ، قال الاول :

ــ شاي محترم ، باذخ ، أنيق ، علينا أن نتوب عن أخطائنا السابقة ولا نذهب الى مقهى غير هذا •

قال الثاني :

ــ كما ترى ، نقد ضاع الوقت هباء ، كان علينا ان نكتشف هذا المقهى منذ وقت طويل ••

فجأة ، كان الاول يقول :

ــ إن احتقار الحسّ قاتل للفكر ، هنا أشعر باسترخاء جدّ غريب ، كنا نهذّب مشاعرنا بطريقة خائبة •

أجاب الثاني :

ــ نعم ، رحم الله (نيكول) صحيح ان احتقار الحسّ قاتل للفكر ، لكن عبودية الحواس لم تدخل ضمن نطاق الغــاء الرق البشري كما قال (نوهان) ومن هنا كنت تشعر باسترخاء

نموذجي فى هذه المساحة الضيقة من العاصمة •

ردّ الاول :

ــ شاي لذيذ ، لكنني حتى من اجل مصالحه ، لا اود ان أُرغم احدا على اعتباري مؤلفه المفضل اذا ما أحبّ الجلوس معنا فى هذا المقهى •

ضحك الثاني وهو يقول :

ــ ملعون (برناردشو) فهو مثل هذا المخبول (اوسكار وايلد) يحب الرجال الذين لهم مستقبل ، كما يعشق النساء اللواتي لهن ماض •

وبعد ان قال الاول « الجنون جميل ، لكن ينبغي ان يستتر ، والاّ صار مجرد حماقة » كان المقهى قد فرغ من زبائنه تماما ً

إقترب السيد (عواف) منهما ، نظر الى الكتب الصفر المتهرئة ، ثم جلس بينهما ، بلا سبب ، وقرر غلق المقهى الى الأبد ، اذا ما رأى (هؤلاء) يشربون الشاي فيه مرة ثانية !

٢ * موظف •

ثلاثة أبواب لا رابع لها ، دخلتُ من الباب الاول ، ونسيتُ خلفه نفسي ، دخلتُ من الثاني ، وبكيتُ على نفسي •

لكنني حين دخلت من الباب الثالث ، ضحكت ، ضحكت كثيرا، ضحكت بقوة ، ضحكت مثل مجنون ، ضحكت على نفسي ، فقد كان الزمن يمتـد بي وأمتد معه ، لم أشعر ابدا ، بأنني اقتربت من النهايـة .

ذلك ان الشمس مازالت تشرق وتغرب ، وما زال أصدقائي يكبرون معي وأكبر معهم ، وما زالت لندن ومدريد وباريس على خارطة الكرة الارضية ، ومازالت « الوظيفة » تلبسني ولا أعرف كيف أغادرها حتى أمضي الى .... حياتي .

٣ * ناقـد ؟

ثلاث عبارات من (بواكير الفلسفة قبل آرسطو) ومثلها من (الكائن الفريد) وعشر مفردات فى غاية الصعوبة يسـتلها من (جماليات المكان) وغيرها من (حاضرة المستقبل) .

يجلس أمام المكتبة ، نصف ساعة وثلاث دقائق ، حتى يتذكر اسماء مبدعين أغفلتهم الذاكرة ، ثم يبدأ الكتابة .

في اليوم الثاني ، ثمة مقالة (مصنوعة) بأسلوبه (المبتكر) وعند اعلى الصفحة اسم السيد الناقد ، الذي اعطى خلاصة وعيه وعصارة عقله وأنـاع ليله ولياليه فى كتابة (النقد) وصار من حقه ان يناقش بصوت عالٍ .

وما عليك سوى (الانبهار) إذ ليس من المعقول، ان تذهب (نصف ساعة وثلاث دقائق) فى مهب الريح .

ثم يبدأ التنقيب عن كتب أخرى .

٤ * رجل على حصان .

لوحـة ملونة على حائط المنزل « رجل على حصان ، أرض صفراء ، عشب بريّ يمتد من بدايتها الى آخر ضربة فرشاة » .

كان الطفل ينظر الى مسامات اللوحة ، يقترب منها ، ثم يبتعد عنها ، هو يرسم أفضل منها ــ هكذا رأى ــ أخذ ورقة من دفتر الرسم ، وراح يرسم الحصان ، ثم رسم الارض وعشبها البري القاسـي .

مضى الوقت سريعا ، وهو منبطح على أرض المنزل ، يرسم مسامات اللوحة بدقة طفل فى العاشرة من العمر . كانت قلامة الملونة تأخذ طريقها الى ورقة الرسم بفرح باذخ .

بعد وقت طال وامتد حوله وتشعّب ، كانت اللوحـة على حائط المنزل قد انتقلت الى ورقة الرسم ، لا ينقصها أيّ شيء ، سوى الرجل الذي امتطى صهوة الحصان ، ليس من الضروري نقل صورة الرجل الى الورقة ــ هكذا كان يرى ــ فقد مات منذ عامين عندما سقط عن صهوة هذا الحصان ، والطفل لا يريد له أن يموت ثانية ، فقد بكى على (أبيه) كثيرا ، ولم استطع نسيانه أبدا ، برغم مرور عامين على مغادرته البيت .

٥ ❊ حـــوار •

ـ هل تحب المرأة الذكية أم المرأة الجميلة ؟

ـ الذكيـــة طبعـــا •

ـ واذا كانت المرأة الذكية على جانب كبير من القبح ، هل تستمر فى حبها ؟

ـ طبعا طبعا ، الذكاء نعمة من السماء •

ـ أنت رجل ممتاز، من الصعب أن نرى مثلك فى هذا العصر •

ـ وأنت إنسان ممتاز أيضا ، لكن العيب الوحيد الذي فيك هو انك تصدق بسرعة •

ـ بالعكس ، انا لا أصدق الناس بسرعة ، فقد كنت أعرف إنك (تكذب) •

ـ وكيف عرفت ؟

ـ انا منـــذ طفولتي لا أصدق من يستخدم كلمة (طبعا) بهذه السرعة •

ـ وهل تراني نطقتُ بهذه الكلمة ؟

ـ طبعـــا •

٦ * الرياضة في أسبوع .

ما إن يشاهد « الرياضة فى أسبوع » حتى يجرجره الحنين الى الماضي ، هل يمشي الى البيوت ، يطرق أبوابها ويقول : (أنا حسون المعروف ، أشهر لاعب منذ اربعين سنة) ؟

سيضحك منه الجيران ، وربما يطرده مختار المحلة ، من أين للذاكرة أن ترجع صوب الماضي ، من يهمه كتابة المذكرات حتى يصدق ان (حسون المعروف) كان اشهر خلق الله على امتداد عشر سنوات من عمر الملاعب .

هل يمنع نفسه من رؤية « مؤيد البدري » أم يترك البيت أيام الثلاثاء كلها ؟ صار من العسير على أعصابه أن تصبر على ذكريات الماضي ، كيف ينساها ، وماذا يفعل بهذه الكؤوس الفضية وشهادات الفوز مازالت أمام عينيه فى غرفة (الرياضة) ؟

أربعون سنة ، رأى فيها بيروت والقاهرة وعمان وأستانبول ودمشق وصوفيا ومدريد ، وفى كل رحلة من تلك الرحلات ، كان رئيسا للوفد ومسؤولا عنه .

كان هو (الكابتن) كما يعشق أن يقال عنه ، ثم شارك فى أحب مباراته يوم رأى بوخارست والجزائر والدار البيضاء .

كيف ينسى سنوات الشهرة ؟ عاشها دقيقة إثر دقيقة ، وبعد هذا العمر الباذخ الانيق من الذكريات ، لم يبق أمامه سوى التلفزيون ، وجه « مؤيد البدري » يقدم (الرياضة فى اسبوع) .

فجأة ، أحس بالحب يزاحم قلبه الضعيف ويطغى عليه ، أخذ

ورقة بيضاء كتب فيها وهو يبتسم :

« الى برنامج الرياضة فى أسبوع

« تحياتي واعتزازي

« هل يمكن رؤية هـذا البرنامج مساء كل يوم ؟ لا دواء عندي ، انا اللاعب حسون المعروف سوى أخباركم الجميلة ، وقد أصابني الحنين الى الماضي ، ساقي معطوبة منـذ ربع قرن من الزمان ، لم أتحرك ، وليس أمامي سوى ذكرياتي ، ساعدوني رجاء على تكرارها كل يوم ، أشكركم جدا .

قرأ الكلمات ثلاث مرات ، وفكر : ان البرنامج سيبث بعد قليل ، وعليه أن يستعد لرؤيته ـ كالمعتاد ـ بملابس الرياضة !

٧ * روائـي ؟

جلس أمام مئات الكتب ، رأى بعض عناوينها ، وقرأ اسماء مؤلفيها ، شرب الشاي قرب (الدون الهادىء) وأحس بلذة السيجارة وهو ينفث دخانها فى وجه (ميخائيل شولوخوف) ثم راح يبتسم فى حضرة (دونكيخوته) يفكر بالشبه بينه وبين السيد (ثربانتس) .. كلاهما روائي يكتب الرواية(!)

فجأة ، أحس بزهو عجيب ، وهو يغادر البيت الى (أمسية الأربعاء) فقد قرأ الكثير من العناوين ، والكثير من اسماء الكتاب العظام ، ومن حقه ـ الآن ـ أن يستريح قليلا من عناء (القراءة).

٨ * العصـــفور •

عصفور واحد ، بلا عش وبلا ماء او طعام ، ثلاثة ايام ولم يمت ، طار من نخلة الى نخلة، قرر أن يستمر بلا بيت وبلا ماء ولا طعام •

هو العصفور الوحيد الذي كان يفكر (ان يمتحن نفسه)•• وكان اليوم الرابع نهاية امتحانه العسير •

نظر الى نخلة سامقة ، اختارها (العش) الذي سينام فيه ، كان قرب النخلة بركة ماء ومسافة ارض مزروعة بالحنطة ، مـرّ اليوم الأول بين أفراحه الصغيرة ، ومـرّ اليوم الثاني مزحوما بالسعادة ، لكن اليوم الثالث كان متخوما الى آخر الليل بالراحة والطعام ، حتى إنه راح يشرب الماء بلا سبب •

أحسّ ان كل شيء بات يتكرر دون أيّ معنى(!)

لهذا السبب (فقط) ترك النخلة وبركة الماء والارض المزروعة بالحنطة ، وراح يبحث عن أرض ثانية وعش من نوع آخر •

صار العصفور يشكر الله ليل نهار ، على انه يختار ما يشاء وقت يشاء وفكر بوعي عصفوري (ان الوظيفة ليست من اختصاص العصافير) •

٩ * تلفزيون •

بأمان الله ، كان يشاهد التلفزيون ، يعرض فيلما من تمثيل (ناديا الجندي) وكان مستغرقا فى محاسنها ، مبتهجا ــ مع زوجته وأطفاله ــ وهو يتابع ما يفعله (محمود ياسين) أمام أشقياء الحارة•

بأمان الله ، كان يرى مايدور فى هــذا الجهاز الأسطوري ، قبل أن يطرق الباب ثلاثة من أصدقائه (الادباء) •

رآهم من خلف نافذة الغرفة ، لكنه قبل ان يفتح لهم الباب ، أخبر زوجته ان تتذكر (ان زوجها كان يقرأ ويكتب) ولم ينس فتح كتاب ما على صفحة ما لا يدري أيّ شيء عنها •

من يدري أية (فضيحة)ان يقال بأنه يشاهد التلفزيون ، بلْ يرى ناديا الجندي، مع ان المكتبة مزحومة بمؤلفات(ديستويفسكي) و (سامي مهدي) و (جان بول سارتر) !

١٠ * مذيعة •

كان يطاردها فى كل شبر من بغداد •

لمحته فى كسرة من زجاج وهي تمشي فى (شارع النهر) ثم أيقنت انه مازال خلفها بعد ان عبرت (جسر الشهداء) •

كان عليها أن تقطع (شارع حيفا) حتى(إذاعة بغداد)فهذا طريقها الذي اعتادت ان تمشيه كل خميس •

فى منتصف الطريق ، طرأت على خيالها فكرة قصة ، ستحكيها لكاتب السيناريو ، عساه يستفيد منها ، عن رجل يطارد امرأة فى

كل شبر من بغداد : دون أن ننطق بكلمة واحدة ، وبعد ايام وشهور ، بعد عذاب وأسئلة وأعصاب تحترق ، تكتشف بطلة القصة ان الرجل الذي يطاردها مجرد انسان أخرس ، لكنه يحبها حقا ، ويرى فى هذا العيب حاجزا يمنعه عن الوصول اليها .

فكرة لا بأس بها ، منحها ــ مجانا ــ هذا الرجل الشرير الذي يطاردها ، سيكتبها واحد من الزملاء وتظهر على شاشة التلفزيون، قصة (اجتماعية) كما يحب البعض ان يقول عنها .

لكن ، ماذا تفعل مع هذا الرجل ، وهو لا ينفع حتى ان يكون (بطلا) فى أية قصة ؟

كيف تنقذ نفسها منه ، فقد أرهقها منذ أيام طويلة ، عليها الآن أن تصرخ فى نصف وجهه، علّه يكف عن هذه اللعبة السمجة.

وقفت ، سامقة مثل نخلة ، تستعد لهذا الفتى المراهق، آن لها ان تمشي هادئة بلا رقيب ، لكنه وقف ايضا ، ثم عبر الشارع، هاربا ، كان الغضب يشع من عينيها العسليتين ، لكنها قررت أن تنتهي من هذا المشاكس العنيد الى الأبد .

إقتربت منه ، حتى صارت لصق جسمه تماما ، كانت تمسكه أمام الناس تصرخ به :

ــ الا يكفي هذا ؟

كانت تريد ان تقول شيئا آخر ، لكنها ما إن نظرت اليه ، حتى ادركت ان الرجل الذي امامها مجرد انسان (اخرس) لم يفعل أيّ شيء سوى انه أخرج صورتها من هويته ، وهي تبتسم بعذوبة ، كما هي عادتها على شاشة التلفزيون .

١١ * أديب ؟

الكتابة ، ليل وقراءات وتجارب وأسفار وخمور واصدقاء وسجون وأعداء ونساء ودموع •

الكتابة ، مغامرة ومقامرة ومطاردات ، هي فوضى وضياع وبحث عن جدوى •

لكنه فى نهار أحرقته الشمس مسامة إثر مسامة ، جاء يكتب، لم يقرأ من كنوز الدنيا سوى كتاب واحد مؤلف بقلمه ، ولم يعش من تجارب الكرة الأرضية سوى انه تزوج وأنجب حنتة أطفال يشبهونه تماما •

كانت تلك قمة السعادة أو هي قمة الكبرياء ، بالنسبة له ، إن ملامح الصغار هي ملامحه نفسها •

لم يشرب ، لم يدخن ، سافر مرة واحدة الى بيروت ، وعاد منها فى اليوم الثاني يمزقه الحنين الى (الوطن) •

مستقيم ، وعلى خلق ، لا سجون خلفه ولا اعداء ولا نساء أمامه ، ولم يبكِ على شيء أبدا ، ومن العيب ان يضحك (طبعا)•

لكنه يطارد النشر والكتابة والشهرة ، يحلم ان ينال (فريسته) باصرار عجيب ، وماذا تعني جائزة (نوبل) اذا كان كل من هبّ ودبّ قد نالها سنة بعد سنة ؟

نبيل وبسيط ، لايريد أن ينافسك فى شيء ، ولا يفهم سرّ مغامرات بعض الناس ولماذا يقامرون ؟

طبيعي ، حدّ انه لا يعرف غير الطريق بين بيته ومقر عمله..
(سوي) حدّ انه لا يسأل عن جدوى هذا الشهيق وذاك الزفير .
كل شيء يمشي كما تريد الدنيا ، لكنه يكتب ، ويكتب ، ينشر ، وينشر دون أن يلتفت اليه أحد ، لم يسأله أحد عما يكتب، يسألون من ، اذا كان من يكتب لا يعرف حتى رسم جواب عابر على سؤال عابر ؟

لكن أغرب ما جرى في هذه القصة القصيرة جدا ، ان هذا الكاتب (الكبير) تمكن من أمرين في غاية العجب ، فقد صار عضوا في مؤسسة أدبية كبيرة ، وصار ـ برغم انفي ـ بطلا في هذه القصة .

وما زال عاما بعد عام ، يستفسر عمن نال جائزة نوبل ، تماما، كما يسأل عن آخر أفلام اسماعيل ياسين .

١٢ * بيروت .

فنجان قهوة ، عوينات طبية ، مجلة ، وامرأة منبطحة على كلماتها المتقاطعة تبحث عن حروف « مطرب عراقي كتب الشعر وتزوج ممثلة عربية » .

لم تعرف ، فراحت الى « أميرة نمساوية ماتت وهي تحتفل بعيد ميلادها » ولم تعثر على حرفها الاول ، فتركتها الى « كلمة مكررة معناها ضوء الليل » .

لم تسعفها الذاكرة .

تركت المجلة ، اقتربت من القهوة ، اشعلت النار ثانية ، علّ

رأسها يستفيق من هذا النسيان المفاجيء ، ثم رجعت الى المجلة .

قرأت « منطقة محاصرة فى بيروت اولادها يأكلون الكلاب والقطط منذ خمسة شهور » .

لم تصدق ما قرأت ، رمت الكلمات المتقاطعة وقالت فى ذات نفسها : ــ هذه المجلة تذكر اشياء مستحيلة وغير معقولة .

ثم راحت تبحث عن مجلة ثانية عساها تعثر على كلمات صحيحة!

١٣ * جريــدة .

نصف جريدة على ارض مبللّة ، تسرب الماء الى حروفها ، وامّحت مئات الكلمات ، صارت الجريدة تمشي فى ساقية تمتد من بداية المحلة الى نهايتها .. ثمة قصة قصيرة وقصيدة واخبار متفرقة عن حصار بيروت ونشاط البيت الابيض فى كتمان اسرار صفقة السلاح المهرب الى طهران .

اعلانات مبوبة ، هوية مفقودة ، مع آخــر صورة للفنانة (بوسي) لصق خبر صغير عن وفاة الفنان علي الشريف وهو نائم فى غرفته .

والجريدة مازالت تمشي بهدوء ، يسحبها الماء وينثر كلماتها وسطورها واحلام محرريها .. خبر واحد عن امرأة أنجبت اربعة اطفال مرة واحدة ، وخبر ممزق عن انفجارات باريس .

تسلّل الطين والماء الى مسامات الجريدة ، صار وزنها اثقل وعند نهاية الساقية كانت الجريدة قد تهرأت واختلطت اخبارها ، ظهر الفنان علي الشريف وقد انجب اربعــة اطفال مرة واحدة ،

وكانت بيروت إعلانا مبوبا وهوية مفقودة ، كما انفجرت القصة القصيرة وتسربت طهران الى مكان البيت الابيض .

١٤ * دخول القصيدة .

ما إن دخل (الشاعر) فى الجريدة ، حتى وصلت الجريدة الى ايدي القراء ، وصار على (القراء) الدخول الى بيوتهم ، ومنها الى (تلفزيون) الصالة .

كان التلفزيون يردد كلمات القصيدة ، التي دخلت فى اذهان المشاهدين وهم جميعا يدخلون الى عالم (الشعر) الذي مضى سريعا الى مشاعرهم ، بينما دخلت تلك المشاعر فى دور (الدواء) النقي لتلك الهواجس التي (دخلت) ثانية الى عالم الجريدة .

نظر (الشاعر) الى اسمه ، وفكر : ان آلاف الناس (دخلت) الى حضرته فنام قرير العين وهو يفكر : ان القصيدة كانت ناجحة.

١٥ * ممثلـة !

مجرد حلم ، حلم ليس غير ، ان تكون ممثلة ، تراها أمها وصديقتها بتول ، اذا ما قطعت طريقهـا من الجامعة الى البيت سيقولون : هذه سميرة الممثلة

فى الجامعة ، تصبح حلم الشباب ، هذا يقترب منها ، وذاك يكتب الرسائل المغلفة اليها ، وفى السر ربما يحبها أستاذها ويمنحها

اكثر من فرصة للنجاح .

ستظهر امام الملايين ، على شاشة التلفزيون ، تكتب عنها المجلات والصحف ، ربما تنقل اخبارها مجلة (الشبكة) التي كانت تقرأها منذ طفولتها .

سيأتي دارها ألف خاطب فى الشهر الواحد ، تختار من يناسبها اذا ما اخارت وترفض البقية بلا نقاش ، شهرتها جواز السفر الى رغباتها .. ليس من حق احد ان يفرض عليها نفسه مهما كان محترما او خطيرا او غنيا .

ستختار الدور المناسب ، فهي كما تعرف نفسها : هادئة ، ذكية ، لا يمكن ان يضحك عليها اي مخلوق فى الكون .. يناسبها دور الفتاة القوية التي تفعل ما تراه صحيحا وهادفا .

ستقول عنها أمها : هذه ابنتي وانا فخورة بما تفعل .. أما بتول فهي افضل مدير دعاية فى الشرق كله ، لسانها قادر على اختراق بيروت وشوارع القاهرة والمرور الى عمان والجزائر .

بقليل من الحظ ، سترى نفسها غلاف مجلة شهيرة ، تدخل هذه المجلة بيوت كبار المنتجين الاغنياء ، يختارها احدهم بطلة فيلم عالمي .

لابد من ابداع دورها فى هذا الفيلم العالمي ، لئلا تخسر هذه الفرصة فى ان تكون نجمة عالمية تشبه ناتالي وود او أودري هيبورن ، من يدري بعدها طبيعة ما يجري فى هذه الحياة الغريبة ، ان الفرصة تأتي ــ عادة ــ مرة واحدة ، وعليها ان تستغل هذه الفرصة الغالية ، لئلا تستمر مجرد (ممثلة) ذات طابع محلي بسيط(!) .

١٦ * ناقد محترم .

كيف يبدأ مقالته النقدية بلا مصادر او معاجم او كتب قديمة يستعين بها ؟ الساعة تعبر الواحدة ليلا ، والورقة مازالت فارغة بيضاء .. هل يستفيد من كلام (جان برنار) ويبدأ مقالته بهذه العبارة :

ـ (عندما تتردد بين رأيين ، إختر الرأي الذي له أقلّ عدد من الانصار ، بذلك تضمن انك تختار الرأي المناسب) ؟

لكن هذه العبارة لاتناسب النقد الذي يبتغيه ، فهو ناقد قصصي، مشغول الى قمة رأسه بالرواية والقصص القصيرة، وعليه ان يعثر على بداية تناسب عالم القصة ، لئلا يزأ منه بقية النقاد ، لاسيما وانه (خلق) اسمه بعد (عذاب) كبير كلفه سنوات من البحث فى الكتب والقواميس ومراجعة الدراسات النقدية التي يستعير افكارها ويأخذ معناها ويسرق مضمونها

إذن ، عليه ان يبدأ من كلمة كتبها (جول رونار) اذ قال :
ـ إن النقد سهل ، والناقد ميسور الحال .

لكنها عبارة جارحة ، لاتناسبه مطلقا ، فهي مجرد شتيمة لأمثاله من النقاد وعليه ان يترك هذا النمط من الكلمات (المعروفة) ويبحث عن شيء لم يسمع به أحد من القراء

فكر ، وفكر ، وفكر ، فجأة قرر ان يعترف ، نظر الى الورقة البيضاء ، وبدأ يكتب دون خوف ودون ايما انكسار :

ـ الكتابة ، عملة جدّ نادرة ، وانا رجل بسيط الموهبة ،

لا أملك من حطام المعرفة سوى كلمات مكررة ، من المناسب نشرها عليكم مرة إثر مرة ، لهذا ، ارجو ان تعذروني ، فقد كذبت عليكم عشرات المرات وآن لي ان اسكت واشطب اسمي من ذاكرتكم فقد كان اسمي محض (اكدوبة) جدّ رخيصة .

ثم نظر الى حروفه المرتبكة ، وهو يرى نفسه (صادقا) لأول مرة فى حياته ، منذ ان بدأ النقد والكتابة والنشر .

كان يبتسم امام الذاكرة ، وهو يطرح منها اسماء النقاد الذين لا يملكون من حطام المعرفة سوى كلمات مكررة ، مازال من المناسب نشرها وتكرارها كما كان يفعل هو فى الماضي ، ايام أغفله الضمير .

١٧ * مخرج .

قرر ان يكون مخرجا تلفزيونيا ، فهو يعرف العشرات من الممثلين ، ويملك بعض الخبرة فى اختيار النصوص المسرحية ، ينقلها الى مسلسل تمثيلي يدخل البيوت كلها وتحكي عنه الصحافة.

النقود ؟ ليس ثمة ما يعوق المسلسل ، فهو يملك آلاف الدنانير ، لن يحتاج الى شركة او مؤسسة او وزارة حتى تغطي نفقات هذا المشروع الكبير

ما هو الفرق بين مخرج وخياط ؟

هو يعرف الجميع ، فقد حضر الى دكانه مئات الفنانين ، يصغي الى همومهم وافكارهم ومشاريعهم ، وقد رأى فى معلوماتهم

وخبرتهم ما يكفي لصناعة مسلسل فى عشر حلقات او تزيد ، أفضل من مسلسل (جذور وأغصان) عشرات المرات •

أخبر زوجته بفكرة (المسلسل) وكان عليها ان تحتفل معه فى (شيراتون) وهو يحكي لها نواة الفكرة :

« رجل وامرأة فرق بينهما الزمان بعد حب عنيف ، وكان الفقر هو السبب ، ثم ينتقل الحظ على سلالم من ذهب وفضة ، ويصبح الرجل غنيا جدّ انه يشتري المحلة التي تسكنها الحبيبة القديمة ، يأتي أبوها يتوسل البقاء فى المحلة بعد ان يخسر ماضيه وحاضره، فيضحك العاشق القديم ــ وقد عرف ان الحبيبة قد تزوجت من رجل سواه ــ ويقول هادئا : اريد ابنتك لي فهي السبب الذي دفعني الى هذه الملايين •• لكن (الاب) الشريف يصرخ على طريقة يوسف وهبي : ان الملايين لا تصنع الشرف ولا تعوض الضمير •• عندها ينكسر العاشق خجلا ويتبرع بالمحلة الى أهلها ويرحل عن المدينة الى الابد ، بينما تنظر اليه الحبيبة من خصاص نافذتها وهي تذرف الدموع » •

ما إن قدم الخياط فكرة المسلسل مع اثمانه واقتراح ممثليه، حتى جاء الرد سريعا طيبا فى رسالة جدّ مهذبة تقول :

ــ يؤجل المسلسل الى القرن القادم : فهو يناسب ابناء القرن السابق ونشكركم على الهدايا المرفقة طيّ المسلسل ، نشكركم جدا •

١٨ * حدود البيت •

سقف على ضوء : ضوء على غرفة هادئة : غرفة على أثاث بسيط ، اثاث على ارض إسمنتية ، أرض على سقف شقة تحتية ، بين عائلة وعائلة طابوق واسمنت ودودة (الارضة) مرّ عليها عام واحد تأكل فى الحدود بين عائلتين •

كانت العلاقة طيبة جدا بين أهل العمارة ، تماما ، كما يشترك اكثر من عاشق فى شمّ زهرة واحدة •• الاول يزور الثاني ويشرب الخمرة في بيته ، والثاني يأخذ الاول بسيارته الى مقر عمله •

ودودة (الارضة) تأكل السقف الفاصل بين العائلتين •

أطفال هذه العائلة تنام في شقة العائلة الثانية ، زوجة هذا تعطي مكياجها وفساتينها الى زوجة ذاك ، يسرح هذا الصغير عبر سلالم العمارة ، يدخل المكان الذي يشاء ، حتى صار من الصعب على بقية شكان العمارة معرفة أطفال من ، هؤلاء النائمين فى الشقة الاولى ، او الماشين عبر نوافذ الشقة الثانية ؟

والدودة ، تأكل ، ما تزال ، في شرايين الحائط ، لا تنهم العلاقة بين عائلة الاول : ولا شان لها بأسرار العائلة الثانية •

أيام ، ربما كانت أسابيع ، أسابيع ربما كانت شهورا ، طريّ هو الوقت احيانا ، وبارد كما الشتاء أحيانا ، شهور شكلها يشبه السنوات ، أو سنوات تمر كما الساعات ، والعلاقة تزداد قوة ومحبة بين العائلتين ، حتى سقط السقف على عائلة الاول وتراكمت الحجارة فوق الرؤوس •

كان على عائلة الثاني ان تعتذر عن شقاوة أطفالها ، هل كان

لاحتمال الثاني بهذا الحجم من الشراسة ؟ وهل يكفي اعتذار من هدم سقف الشقة ؟

والدودة تمشي •

لا أحد يراها ولا عين تبصر نوع أفعالها •

بدأت الحرب بين الشقة التحتية والشقة العلوية ، مات الزمان على حالة من السكون والحقد والنسيان ، بينما تسربت دودة (الارضة) الى سقف آخر من العمارة ، لا تسأل عن أفعالها ، فقد خلقها الله كما خلق الطيور والاسماك والبحار والمنافقين •

١٩ * بقيـة ليـل

أراد ان ينام بقية الليل الذي يوشك ان ينتهي ،

فكّر فى الماضي والنساء والسفر : أراد ان يسامح الحاضر والغباء والرمال ، لكن المستقبل مازال يضحك من أعصابه وهو يرمي اليه بحبات الرمان عبر زجاج البيت ،

قال :

ـ اذا لم أتمكن من النوم فلن اتمكن من البقاء حيا •

وما زال حتى هذه الساعة يسأل نفسه عن الصدى الغريب الذي راح يكرر :

ـ اذا لم تستطع النوم فعليك بحرب أخرى •

وقرر ان (يحارب) ثانية من أجل ان ينام ليلة واحدةاو ساعة واحدة من هذا الليل الذي يرفض ان •••• ينام •

٢٠ * مكـــان

دخل (الليل) الى الحانة ، وراح يسأل : أين الذين كنـا نراهم عبر مئات السنين فى هذا المكان ؟

لم يعثر الليل على جواب ، فقد كان المكان فارغا الا من حسرات ومن أنين ينبعث من فراغات الحانة .. كان الليل قد جلس على كرسي مغلّف بالتراب .. أظنها كانت أول مـرة فى حياة الليل أنه .. بكى ذاك المصير العجيب .

٢١ * غرفـة .

دخلت الى جيبي الايسر ، وراحت تقرأ فى مذكراتي ، أصابها عرق الصيف ، أغرقها ، لكن فردوس اوراقي رماها الى الحب ، فنامت هناك ، بينما بدأت انا أهاجـر عن ثيابي لئلا أستأجر منها غرفة فى حياتي .

٢٢ * أغبياء .

احترقت الغرفة بما فيها من رجال ونساء واوراق وثياب ، عندما مرّ بها أحد السكارى ، لم يلتفت الى الجثث المحروقة ، رفع قنينة الويسكي وفكّر :

ـ كم هم أغبياء هؤلاء الموتى .

٢٣ * مـــوت .

قطع فى وظيفته سبعا وعشرين سنة ،

تمكن بعدها من شراء سيارة صغيرة قطعته عن الوظيفة فورا، لكنه تمنّى ــ قبل موته بدقيقة واحدة ــ لو انه اشترى تلك السيارة فى اول أعوام الوظيفة وأنقذته من الحيـاة كما فعلت به الآن .

٢٤ * حرمـان .

ترك الخمرة منذ شهور ، واستراح الجسد المنهك فعلا .

بعد وقت جميل من ذاك القرار العسير أخذوه الى (وليمة) كبرى لم يتمكن أمامها من رفض كأس من « الجن » تكـررت خمس مرات وربما اكثر من ذلك .

فى نهاية الليل أحسّ بندم عجيب ــ وهو يغنّي ــ كيف انه راح يفرض على نفسه عطشا مستحيلا كهذا .

وبرغم أنه لم ينقطع عن الغناء طوال الليل ، تمكن أن يبكي افلاسه الكبير الذي هو وحده السبب فى حرمانه الموجع هذا .

٢٥ * مسرح .

على خشبة المسرح ، كان ملكا متوجا على نصف الكرة الارضية، يصغي اليه الملايين وتخاف من سطوته وقسوته الشعوب.

عندما عاد الى بيته ، كانت زوجته تصرخ وتسأل عن سبب تأخره كل يوم ، فأجابها بصوت ذليل :

ـ لكنك تعرفين ان الملك لا يموت الا في الساعة العاشرة ليلا.

٢٦ * حلوى .

قال المعلم :

ـ واحد + ثلاثة = أربعة

وما إن عاد الطفل الى بيته الفقير ، حتى أخبر أمه ان واحدا + ثلاثة انما يساوي اربعة وليست كما اخبرته بالامس وهي توزع الحلوى من ان الثلاثة اذا زاد عليها واحد فقط انما تساوي اثنين وايقن الطفل ـ هكذا ـ ان الحلوى لم توزع ابدا بالتساوي.

٢٧ * المقبـرة •

لذّ له ان يدخل المقبرة ، ليرى ويقرأ اسماء الموتى •

مئات القبور مرت امام عينيه ولم يلتفت اليها ، حتى احرقته الشمس لترغمه على الجلوس تحت نخلة عملاقة لم يكن قربها غير قبر واحد مكتوب عليه اسمه مع سطر واحد يقول : كل نفس ذائقة الموت •

وبرغم انه مايزال حيا ، فقد تذكر ـ فورا ـ ان الاسماء تتشابه ، وكذلك القبور •

لكنه قبل ان يترك المقبرة أحسّ بشيء يزاحمه في منطقة القلب تماما •

٢٨ * قارئة الكف •

أخبرته قارئة الكف بأنه سيموت غدا •

ولم يستطع أمامها غير ان يبتسم ، لكن قارئة الكف قالت ثانية بأنه سيموت حقا قبل نهاية الليلة التالية •

دفع اليها ثمن النبوءة ، أظنه دفع الثمن مرتين ، ذلك انه لم يتمكن أبدا من قتل نفسه برغم كل ما جرى •

ما إن تركته قارئة الكف ينتظر الليل الحاسم حتى سمعته يهمس مع نفسه :

ـ ليتها تكون على حق هذه المرة •

٢٩ * مغـرور .

كتبت اليه تقول :

ـ « الى رجل واحد لا يتكرر ، تطلع من عينيه غابات الزنبق والزعتر ، أعرفه من طعم الشيكولاته ، أيها اللعين ، كان على أمك أن تنجب أكثر من واحد مثلك .. فأنا اخاف اليوم ان تموت ».

ولأول مرة فى حياته لم يتمكن من الرد عليها ، اذ أنها سرقت منه الكلمات كلها ولم يبق فى ذاكرته سوى الحب وسوى سؤال واحد يدور فى الرأس :

ـ حقا ، لماذا لم تنجب أمي سواي ؟

٣٠ * نهاية حرب

لم يعد يكتب أي شيء .

من اجل من ولماذا سيكتب ، اذا كان كل شيء قد رحل عنه صوب الخراب ؟

كان يسأل نفسه :

ـ هل انتهت الحرب ؟ واذا كانت الحرب قد انتهت ، لماذا ترفض الدنيا ان تمطر ؟

جلس خلف المقهى الزجاجي ، وقرر ان ينتظر المطر .. ذلك يعني بالنسبة له انه ينتظر نهاية الحرب فعلا .

٣١ * فراش الوداع .

الحمد لله ، قلت لها : الحمد لله سيدتي : لم يعد من شيء نسأل عنه ، لقد كبرنا ولم نعد نلتفت الى بقية السنوات .

هل كنا نصدق اننا ـ ذات يوم ـ سنكبر بهذه السرعة ؟ ها نحن نقترب من النهاية ونبض القلب مازال يخدعنا : أن في العمر بقية .

أنا شخصيا أرى قبري ـ منذ الليلة ـ محاطا بأشجار النخيل ولا أكترث لهذا السيد الموت الذي يقترب ، فقد علّمونا منذ طفولتنا : ان الموت حق .

اعذريني اذا ما سألت :

ـ هل كنا على حق يوم قررنا ان نفترق ؟ هل كنا على حق ونحن نسمح للموت ان يتسلل الينا قبل الاوان ؟

يا الله ،

كم هو جميل ان نقول شيئا ونحن على فراش الوداع .

٣٢ * آلة كاتبة •

يفكـر فى شيء ما ،

لكن الآلة الكاتبة تكتب شيئا مختلفا على امتـداد الوقت الذي أطاح به قبيل الصباح •

وما إن استيقظ فى الواحدة ظهـرا ، حتى قـرأ فى الورق (المطبوع) كيف انه اعترف بجرائمه الصغيرة كلها •

لكنه قبل ان يمزق تلك الاوراق أحسّ بالخجل تماما : ان الآلة الكاتبة ــ وحدها ــ من يدري بحقيقة أمره •

٣٣ * غابة العمر •

ما إن حدق الى الصورة ، حتى رأى نفسه قـرب غابة من السرو ايام كان فى العشرين من العمر ، الى جانب الصورة راح ينظر صوب المرآة ، خلفه رسم كبير لغابة أكبر على جدار البيت وفى داخل المرآة شيخ فى السبعين •

الصورة كانت تبتسم ، بينما الشيخ فى المرآة كان حزينا ، وربما كان يفكّر : ماذا لو تركنا الصورة هنا والمرآة هناك ؟

وفعـلا ،

نقل المرآة الى مكان الصورة وجـاء بالصورة الى مكان المرآة ، ثم أمعن النظر الى الصورة ، فرأى على صفحة الزجاج شيخا فى السبعين يوشك ان يذرف الدمـوع ، بينمـا الـذي فى العشرين مازال يبتسم هناك ــ منذ خمسين سنة ــ قرب غابة من السـرو •

٣٤ * صالحة للنشر

منعوها من النشر ، بحجة انها قصة قصيرة (لاتستحي) .. لسانها طويل وحروفها أطول ، رأسها مكشوف وليس من حجاب يستر عورتها .

وبرغم مرور عام على ولادتها ، لكن الخبراء مازالوا على عنادهم فى انها لا تصلح للنشر .

بقيت القصة القصيرة على الرفوف ،

غطّاها التراب وامحت بعض كلماتها ، سقطت أسنانها ، وبسرعة عجيبة امتدت اليها الشيخوخة والتجاعيد ولم يبق من شبابها غير العنوان .

يومها مضت القصة القصيرة صوب النقاد الخبراء ، ورمت أمامهم جلدها المكرمش ولحمها الذي تساقط عبر السنين .. لا اسنان ولا من قوة فى التعبير ، فقد ذبل بريقها وانكسر عنادها وصارت ملامحها صفراء من أثر البرد والحر والنسيان ، واقتربت أنفاسها من الموت .

وبرغم ذلك ،

كم اسعدها القرار : انها اليوم صارت (صالحة) للنشر .

٣٥ * البيـــت •

لا احد يطرق باب بيته البعيد ، هناك عند نهايات بغداد ، ينظر من نافذته المغطاة بالندى والضباب ، عبر مسافة تزيد على خمسة أمتار ، صوب باب الحديقة التي مازالت جرداء ، لا احد يأتي ، ليس من صديق او قريب يعرف هذا المكان المسموح من الذاكرة ، كان يقرأ ويصغي الى الراديو ويشاهد التلفزيون فى وقت واحد ، ينتقل من غرفة النوم الى المطبخ الى رفوف المكتبة ، وفى كل خطوة يخطوها داخل بيته كان ينظر الى باب البيت من نافذته الواسعة ، حيث لا أحد يجيء ، لا أحد يسأل عنه فى هذا الجزء المهجور من الدنيا •

بعد مساء موحش ذليل وخيالات ممزوجة بالطفولة والماضي، تذكّر محلته القديمة ، حيث البيوت والعلاقات تتشابك مثـل غصون الشجرة الواحدة ، كان القلب ينبض حزنا على سنوات العمر التي مرت سريعة ، لا يدري كيف غادرته مثل حبيبة قاسية.

ظر الى باب البيت من نافذته المغطّاة بالندى والضباب ، ثم ارتدى معطفه واخترق البرد والندى والضباب ، وراح يطرق الباب ، باب بيته ، ثم فتحه ــ لنفسه ــ ودخل البيت •

٣٦ * تمثـال •

بين سكة الحديد ورصيف المحطـة ، امـرأة من (جبس) لا يدري أي مسافر ولا أي عابر ولا أهل المحطة أنفسهم من قام (بنحتها) وتركها فى هذا المكان الغريب •

لماذا لم يصنع هذا التمثال على رصيف المحطة مثلا ؟ من ترك هذه المرأة بين الرصيف وسكة الحديد حيث يكاد القطار ان يهشمها فى كل مرة يقترب منها ؟

هي تحت المطر فى الشتاء ، امرأة عارية من (جبس) تشقق جزء من كتفها تحت الشمس الحارقة فى صيف العراق ، لا يعلم أي كائن على أمتداد القرية ولا ايما عجوز من أهلها ، من الذي جاء بهذا التمثال العجيب وأهمله تحت رحمة الرياح والعواصف والبرد الخرافى القاتل ؟

فى صباح بارد من صباحات المحطة ، لم تكن ثمة امرأة بين رصيف المحطة وسكة الحديد ، ليس من أثر لذلك الهيكل المصنوع من الجبس •• كانت هناك ورقة بيضاء فى مكان التمثال ، مكتوب عليها سبع كلمات تقول :

ـ كان عليكم ان تساعدوها وتمنعوها من الانتحار •

فى المحطة ، مازال أي مسافر وأي عابر وأي عامل من أهل القرية ينظر صوب مكان المرأة ويسأل نفسه :

ـ لماذا انتحرت ؟

٣٧ * قبيح

جرّب التشيل فى السينما ، قيل له (وجهك لا يناسبه الاّ دور المجرم) ثم توسّط العشرات من أصدقائه عساه يعمل فى التلفزيون ، لكنه أيقن بأنهم على حق عندما رفضوه (ماذنب ملايين الناس وهم ينظرون الى هذا الوجه القبيح الذي لا يناسبه سوى الاجـرام) ؟

لم يكن أمامه غير الوظيفة فى أيما وزارة او شركة او محل عام ، لكنه لم يعثر على مكان مناسب او غير مناسب ، فقد رفضته الوزارات والشركات والمحلات العامة كلها بلا سبب ، سوى ما أدركه بنفسه : ان ملامحه لا تطاق .

فى الصباح الذي رفضته فيه آخر شركة مرّ عليها ، قرر أن يبيع السجائر، حيث راح يدور بها على المقاهي والباراتوالشوارع، لكن ، لا احد يشتري منه حتى سيكارة واحدة ، انهم ينفرون من هذا الوجه الذي لا يناسبه غير ان يكون مجرما .

راح يدخن بشراهة ، وهو يمشي صوب لا مكان ، وقد قرر ــ فعلا ــ ان يأخذ دور المجرم ، وهذه المرة ليس من الضروري أن (يمثله) فى التلفزيون او السينما فقد كان جائعا ، وكان عليه أن يأكل ، وهذا يعني ان عليه ان يبدأ العمل فى الدور الوحيد الذي أرغموه عليه .

٣٨ * مدمـن

كان يجلس امام التلفزيون ، يصغي ويرى ، شاهد (كارتون) و (استعراض الدمى) وانتبه جيدا الى عرض الانباء ، لم يتحرك من مكانه طوال فترة البث ، بل ، قرر ان يتابع فيلم الليلة مهما طال وامتد الوقت به •

قدح مملوء بالماء ، وآخر مملوء بالخمرة ، وسجائر ، ومنفضة وقليل من اللبن ، لا شيء سوى الماء والخمرة والسجائر واللبن ، ربما منذ شهور ، وهو يجلس هكذا وحيدا أمام التلفزيون ، حتى صار ــ لأول مرة فى حياته ــ يعرف اسماء المذيعات ويتذكر ان هذا الفستان كانت قد ظهرت به المذيعة السمراء قبل اسبوعين ، وان المذيعة التي كانت تخطيء فى النصب والجزم بدأت منذ يومين تبتسم على الشاشة وقد علّموها الجزم والنصب كما ينبغي •

فى الواحدة بعد منتصف الليل ، كان قد شرب الماء والخمرة واللبن ودخّن السجائر كلها ، ثم اغلق التلفزيون و ••• مات •

لم يره أحد عندما ابتلع العشرات من حبوب الفاليوم سوى المذيعة التي عادت وأخطأت فى الجزم والنصب وهي تختتم البرامج مع ابتسامة كبيرة •

هو ايضا كان يبتسم ، كلاهما انتهى من واجبه ، وقرر ان ينام على طريقته •

٣٩ * الكنـــز .

يوسف ورشاد وياسر ، ثلاثة أطفال يلعبون (حيّة ودرج) ، كلهم فى عمـــر واحد ، يقترب رشاد من الكنز ، فينكسر ياسر حزنا ويحلم ان يصل الكنز قبل رشاد ، لكن ياسر كاد ان يصل الكنز فعلا ، ليس بينه وبين النهاية سوى رقم واحد ، ما إن جاء دور (رشاد) حتى حصل على الكنز كله .

لم ينتبه رشاد ولا ياسر الى ما جرى لصديقهما يوسف ، فقد ابتلعته (الحيّة) منذ بداية اللعبة ، وتوقف عن اللعب .

بعد ثلاث ساعات ، راح كل واحد منهم الى بيته ، كان ياسر يفكر ان يحصل على الكنز فى المرة القادمة ، بينما راح يوسف يدرّب نفسه على التخلص من فك الحيّة ، اما رشاد فقد دخل البيت (منفوشا) من الفرح ، طاغيا ، سعيدا ، مبتهجا ، مع أن الكنز لم يكن بحوزته ، كان الكنز هناك فى القلب ، تناثر على فراشة الصغير ونام بين ذهبه وفضته واعجاب صديقيه بفوزه الكبير

٤٠ * شاعر حكومي •

ما إن عاد من باريس ، حتى راح يفكر فى رحلته التالية الى بلغراد ، هناك سوف يقرأ القصائد نفسها ، ذلك ان اهل باريس لا يذهبون الى يوغسلافيا ابدا ، لكنه بدأ يخطط لما سوف يقوله فى مدريد بعد رحلته الى كازابلانكا ، فهو يحتاج الى اسبوع آخر كيما يستعد لقصيدته التي سوف يتلوها فى عمان •

عندها قرر ان يعتذر عن دعوته الى السودان ، مادام سيقرأ تجربته الشعرية فى وارشو ، لاسيما ان الوقت بين سفره الى القاهرة ولبنان ربما يأتي فى الشهر نفسه •

أحس بشيء من الارهاق ، انهم يتعبونه فعلا ، هو الذي مازال حريصا على ان يظهر فى كامل رونقه واناقته وشهرته فى السويد التي تنتظر زيارته بعد اسبوعين ، ذلك يعني تأكيد اعتذاره مرة ثانية للاصدقاء الذين ينتظرونه فى تونس والامارات العربية •

فجأة ، وهو يشرب الشاي الذي جاء به من الهند ، راح يكتب الى روما عن تأخير زيارته اليهم ، معتذرا برحلته الى موسكو لتوقيع اتفاقية ادبية مهمة جدا، وما ان كتب الرسالة حتى فكر بهدوء:

ـ الآن أتمكن من الذهاب الى النمسا ، فقد صار الوقت ملك يدي لزيارة كوبنهاجن دون أية مشقة •

و ••••

تمكن من ان ينام فى الرابعة فجرا بعد أن اغلق الحقيبة التي سيأخذها بعد ساعتين الى جنيف وهو مطمئن البال على نزوله ثلاثة ايام فى بحر الشمال بل وفى قاب أمستردام التي لم يرها منذ •• شهرين !

٤١ * شاعر ما

أحرق اوراقه وديوانه الوحيد ، قرر ان يترك الشعر الى آخر يوم من عمره ، أغلق باب البيت والقلب معا ، ونام على دكريات موجعة ، وعندما سألته زوجته فى الصباح ، عن سر هذا الصمت والبقاء فى البيت ، أغلق ابواب لسانه ونسانها وراح يحدق الى فراغ يمتد الى مكان مازال يعيش فى ذاكرته .

بعد عام على هروبه وغربته ، اراد ان يرى الدنيا وما حل بها ، بعد هذه الهجرة التي شملت الاهل والاصدقاء كلهم ، وفى المكان الذي اعتاد ان يسهر فيه ويشرب ، رأى العشرات منهم ، كان يبتسم فى الوجوه بشوق طافر وقلب ينبض خلف لسانه الذي راح يغرق فى الاسئلة .

فى زاوية من زوايا المكان ، ثمة ثلاثة من أقرانه الشعراء ، كانوا يحتسون الخمرة والنقاش والتاريخ ، قال الاول منهم :

ـ لقد عاد بعد سنة من الغياب .

قال الثاني وهو يبتسم :

ـ وما شأننا به ، أنا ارجو ان يجلس بعيدا عنا .

بينما قال الثالث :

ـ أجمل قصائده انه غاب عنا ، ليته لم يعد ، انا لا أحبه ولا أحب شعره أبدا .

ولم يكن شاعرنا يدري بما يقال . لكنه فجأة ، وهو يدور حول الموائد ، أحسّ أن الجميع يتسامرون فيما بينهم ، ولم يكن ثمة من يلتفت اليه او يرجوه الجلوس بينهم .

عندما عاد الى منزله ، صار يمزق ما يرى من دواوين الشعر دون ان يعتذر (منهم) ثم أغلق على نفسه باب غرفته ولم يخرج ابداه

٤٢ * شاعر ثالث

اراد منذ طفولته ، ان يصبح شاعرا ، تراه ابنة الجيران على شاشة التلفزيون ، قرأ مايزيد على مليون بيت شعر وحفظ عن ظهر قلب مئات منها

وعندما اصبح فى الثلاثين من العمر ، تمكن من ان ينشر اول قصيدة فى صفحة القراء ، صار يمشي بها اسبوعا بين اقرانه وذويه .

بعد عام واحد ، تمكن ان ينشر قصيدة ثانية أحبّها رئيس التحرير ، يومها عاش اول ليلة ذاق فيها طعم الخمرة والنجاح ، وما إن صار فى الاربعين حتى أصدر ديوانه الاول

تزوجت ابنة الجيران وأنجبت خمسة اطفال ، ثم مات زوجها فى طريق البصرة ، وعندما وصل شاعرنا الخمسين من عمره تمكن أن يسمع اسمه فى برنامج (الشعراء الشباب)

يومها كانت ابنة الجيران تنزع ثوب الحداد ، فتذكرت فجأة، ذاك الشاب الهادىء الذي كان يعشق الشعر ، غريب أن يكون اسمه أقرب ما يكون شبها بهذا الشاعر الذي تصغي اليه ، لكنها أغلقت المذياع عندما راح ابنها الصغير يسألها عن معنى كلمة (البصرة) ولماذا مات فيها أبوه ؟ فما كان من زوجة الميت الا" الصمت بينما كان الشاعر خلف صمت المذياع مازال يقول الشعر بصوت ناعس وهو يفكر ان ابنة الجيران سوف تعرفه حتما .

٤٣ * كاظم الساهر

* هي امرأة تحب الغناء ، لا توجد مشكلة ، لكنها على وجه الخصوص تحب كاظم الساهر ، لا توجد مشكلة .

زوجها رجل محافظ ، وليس فى الامر من مشكلة ، وما دام محافظا ، فعليه أن يحافظ ، ولم يجد امامه غير زوجته وعليه ان يحافظ عليها ، وهنا ، لاتوجد مشكلة ايضا ، لكن الزوجة شريفة، وعفيفة ، وطيبة ، ومحترمة ، وربة بيت لا غبار عليها ، وبالتالي ليست هناك مشكلة ، سوى أن زوجها رجل محافظ وعليه ان يحافظ .

وحين لم يجد من شيء فى سلوك زوجته ، ولا من عيب فى طبائعها ولا خدش فى عفتها ، وهو الرجل المحافظ والذي عليه ان يحافظ ، فقد امرها ان تغلق فم كاظم الساهر ، وليس فى الامر من مشكلة ، أغلقت الزوجة جهاز التسجيل وهي راضية قانعة .

لكن زوجها رجل محافظ وعليه ان يحافظ ، قال هذه المرة بصوت عنيف :

ــ لا أريد بعد اليوم ان أسمع هــذا الكاظم الساهر فى بيتي أبدا .

ولم تكن ثمة مشكلة ، قالت الزوجة :

ــ لن تسمعه بعد اليوم .

لكن الرجل محافظ ، وعليه ان يحافظ ، وهذه الزوجة المطيعة لا تعطيه فرصة ان يحافظ .

راح يصرخ فى البيت :

ـ كيف يا امرأة تسمحين لكاظم الساهر ان يدخل بيتي ؟ هذا بيت محافظ وعلينا ان نحافظ عليه .

ولم يكن فى الحكاية من مشكلة ، قالت الزوجة بهدوء :

ـ هذا كلام صحيح وسليم ومعقول ، لن تسمع فى هذا البيت سوى القرآن ونشرة الاخبار ايها الزوج العزيز .

لكن زوجها رجل محافظ وعليه ان يحافظ ، وعندما لم يجد هذا الرجل المحافظ من شيء مهما كان صغيرا ليحافظ عليه ، رفع السكين عاليا ورماها على جسد الزوجة الشريفة الطيبة العفيفة ، ثم ذهب سعيدا ، متباهيا ، فرحا ، مبتهجا محافظا وفخورا ، الى اقرب مركز للشرطة ، وسلّم نفسه على انه رجل محافظ وكان عليه ان يقتل زوجته ليحافظ .

وتمّ تسجيل القضية فى دار العدالة ، تحت رقم ٤٧٣١ فى يوم الخميس ٩ـ٣ـ١٩٩٢ ، بينما كاظم الساهر مازال يغنّي ، وما زال الرجل المحافظ يفكر حتى الآن : كيف يحافظ ؟!

٤٤ * الشـــك

فجأة ، كان قد عاد الى بيته، على اول طائرة تغادر (الدار البيضاء) فى طريقها الى بغداد ، قطع المهمة واعتذر عشرات المرات حتى لا يذكر السبب الذي سيطر على عقله واهلك نصف خلايا نخاعه الشوكي •

هذه الشكوك ، بدأت تأكل من لحمه ، وتمزق جسمه النحيل •• هي اول مرة فى حياته ، مذ تزوجها ، تأتي الكوابيس فى الليل والنهار ، فى مطعم (حياة ريجنسي) وفى البار الذي انزوى يشرب فيه الخمرة •

ــ ماذا دهاني ؟ كنت اسافر بين شهر واخر ، لم يطرأ على مخيلتي أ. شيء ، أنا اعرفها ، هي نوع من ملاك طاهر يمشي على أرض نقية بيضاء طاهرة •

كانت الطائرة تقترب ببطء عجيب ، ربما كانت اطول رحلة فى تاريخ الدنيا ••

لم ينظر الى احد فى الطائرة ، حتى الكابتن الذي جاء يصافحه ويبتسم امامه مبتهجا بهذه الفرصة الطيبة ، عاد خائبا الى مقصورته لا يدري سر هذا الغرور الذي يلبس بعض الناس •

وعندما اعطته المضيفة طعام العشاء ، لم يأكل منه الا زيتونة لا يدري هو نفسه كيف تذوقها •• قالت :

ــ الا يعجبك طعامنا يا استاذ ؟

نظر اليها ، وابتسم مثل طفل تائه :

ــ اشكرك ، لا اشعر بالجوع •

كانت الطائرة قد هبطت ، وكان اول من نزل منها ، ختم جواز سفره وترك الحقائب الى وقت آخر ، وراح مثل مخبول صوب منزله.

الساعة اقتربت من الثانية بعد منتصف الليل ، مفتاح البيت مازال معه ، لم يطرق باب البيت ، دخل كما اللصوص ، نزع الحذاء وصار يمشي حافيا الى غرفة النوم ، الغرفة مضاءة ، وثمة همس اصابه بالقشعريرة والرهبة معا، فتح الباب بهدوء كما يفعل اللصوص ونظر الى زوجته ، التي لم تشعر به ، نظر اليها ، ثم اغلق الباب، وقرر ان يتركها حتى تنتهي مما تقرأ .

٤٥ * مجرد لعبة

كانت مجرد لعبة ، ان ينتظرها فى منطقة الباص ، ويقول بأنه يحبها ، وان ايامه ولياليه تمضي بلا معنى ، اذا لم تكن هي وحدها من نصيب قلبه المولع بها .

سوف تضحك منه ، وتهزأ من هذا المراهق الكبير ، لابد انها ستسأل عن سيارته ، و (تموت) من الضحك على هـذه اللعبة التي لاتناسب سنوات عمره والتي جعلته يمشي هذه المسافة كلها حتى يمزح معها .

هي امرأة عاقلة ، سنواتها تحكي مئات القصص الخطيرة ، كبرياء من النمط الساحر ، ملامحها تسافر بين الرقة والذكاء ، وهو معجب بها حد الجنون ، لكنها تعلم انه متزوج واطفاله يلعبون بأعصابه اذا ما فكر ان يهجرهم ، فهو أب من النوع الممتاز .

فى منطقة الباص ، كان يعرف ان موعدها السابعة والنصف صباحا ، جاء بعدها بدقيقة واحدة ، لم تصدق ، هي التي اقتربت منه وقالت :

ـ الحمد لله على سلامتك .

استغرب ما تقول ، نظر شرقا وغربا ، وابتسم :

ـ لكنني بخير فعلا ، هل حدث اي شيء لا ادري به ؟

ـ طبعا ، الا ترى انك تنتظر الباص مثلي .. اين سيارتك الجميلة ؟

اراد ان يبدأ اللعبة ، ويقول بأنه جاء من اجل أن يخبرها بحبه ، نظر الى عينيها كما يفعل ابطال السينما ، اراد ان يرمي فى بؤبؤ عينيه كل عشق الدنيا وكل غرام العشاق .

قالت :

ـ هل تشكو من شيء فى عينيك ؟

ـ كلا ، كنت اريد ان اخبرك بشيء .

لكن الباص ، كان قد وصل ، ولم يكن امامها سوى ان تعتذر منه بصوت ناعس مستعجل :

ـ انا آسفة ، ربما فى وقت آخر .

كان وحده فى منطقة الباص ، رأى شعرها من وراء الزجاج ، لم تلتفت اليه مطلقا ، وفكر مع نفسه .

ـ اما كانت مجرد لعبة ؟ لماذا الحزن اذن ؟!

ثم عاد خائبا منكسرا الى سيارته ، وهو يفكر ان كل مايراه فى السينما مجرد لعبة ، والا لتبعت نظرات عينيه مادام قد ترك فيهما كل عشق الدنيا وكل غرام العشاق .

٤٦ * مسبحة

مسبحة ، وآية مزخرفة من القرآن ، مفتاح عتيق ، ومكتبة مزحومة بالعباقرة ، دولاب ملابس ، وعطور ، ومرآة ، وساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، شمعة مطفأة ، دليل تلفونات، اقلام ، ومجلات قديمة وخمس سجائر مبلّلة بالندى .

مطر ورياح وليل يغرق فى الظلمة ، فراش بائس وراديو ، لوحة نصف مشققة رسمها (جبار سلمان) عام ١٩٧٥ ، اوراق بيض منثورة فوق الممرات ، رائحة المطبخ والحمام تزاحم الرطوبة والحشرات .

ثمة رجل كان يقرأ فى جريدة ، ينظر بين دقيقة واخرى الى المطر القاسي الجميل وهو يغطي الارض والبيوت والذكريات والبشر .

كان يشعر بالعواصف والبرد الرهيب الذي يتربص به ، مع ان تاريخ الجريدة التي يقرأها ، كان يشير الى (تموز) من العام المنصرم .

٤٧ * الملـك

* دخل الملك على زوجته ، فرآها عارية تماما ، وما إن اقترب منها حتى تأكد له انها ليست بمفردها ، وان خادمه الامين ينام هانئا متمتعا معها ، خرج الخادم من غرفة الملك وفى بطنـه أكثر من جرح عميق عريض ، وعند الباب كان الخادم قد مات .

فى آخر الليل قال الملك للوزير :

ـ إذهب الى زوجتي واقتلها وخذ لك نصف الخزينة .

أجاب الوزير :

ـ أمرك يا مولاي

نفّذ الوزير أمر الملك المعظم ، وعند الفجر كان الوزير مذبوحا فى الغرفة نفسها جنبا الى جنب مع جسد الملكة القتيلة .

ثم أعلن الملك عن خيانة زوجته مع الوزير ، وبعد الاعلان عن الخيانة راح الملك يهمس مع نفسه :

ـ من العار ان يسمع الناس عن خيانتها لي مع خادم حقير ، اما هذه الخيانة مع الوزير فتبدو أنيقة ، وجذابة ، ومعقولة جدا .

٤٨ * نفـايات

بين سلالم الطابق الثالث والرابع ، كومة من نفايات لم يرفعها أحد ، ربما مضى عليها نصف عام وهي تزداد حجما وتفوح منها السموم .

لكن الموظف الذي جاء مبنى الشركة هذا اليوم ، قرر أن يجمعها فى أكياس سود كبيرة ويرميها خارج هذا المكان .

ثم رجع ثانية وغسل البقع التي تخثرت بمرور الوقت ، رشّ الارض بالماء وعطّرها برائحة الورد ، وصارت المسافة بين الطابق الثالث والرابع نظيفة ، لامعة ، تماما كما المسافة بين أي طابق وآخر فى مبنى الشركة .

ليس من شيء غريب فيما كان يفعل هذا الموظف ، او هكذا توهم ، لكن مبنى الشركة وعلى أمتداد ساعات الدوام ، صار فى حال مضحك متشابك عجيب ، لا أحد يدري مكان الغرفة التي يبحث عنها ، او مكتب الموظف الذي سلّمه معاملته ، فقد كانت هناك اشارة واحدة على ارتفاع مبنى الشركة ، هي كومة الزبالة ، منها تتفرع المعلومات ، وعندها تتجمع الخيوط ، وحالما اختفت النفايات ، اختفت أبرز معالم الشركة ، بموظفيها وزواياها وشعابها وغرفها واوراقها .

في الصباح الثاني ، بدأت كومة النفايات تكبر من جديد ، لم يرفعها احد برغم السموم التي بدأت تفوح منها ، ليس من احد يقترب من حدودها او يرش الماء على ارضها او يعطّرها برائحة الورد ، ليس من السهل على موظف واحد ان يرفع جبلا كل يوم ، لاسيما اذا كان هذا الجبل العالي من النفايات ، خير دليل على انه وصل الطابق الذي يعمل فيه .

٤٩ * ايجار البيت

عندما كان منسيا ، اعني عندما كان طيبا وفقيرا متسامحا وبسيطا ، لم يستطع دفع ايجار البيت ، ولا شراء ما يكفي من الطعام ، حتى انه باع نصف ما يملك من كتب التراث وسلسلة كتاب المستقبل وما يزيد على مائة كتاب من ثربانتس ، وجيمس جويس ، وطه حسين ، وجان بول سارتر وصاموئيل بيكت وديستويفسكي .

ربما عصرته الكآبة يومها مثل خرقة مبلّلة ، ربما أغرورقت عيناه بالدموع ، وربما بلع مايكفي من حبوب الفاليوم حتى يتمكن من بيع ميخائيل شولوخوف وعلي الوردي وكافة أعداد مجلات حوار والاداب والرسالة

كان ينظر الى رفوف الخشب ، هذا التراب الناعم ليس الاّ بعض آلام فارتر وثلاثية نجيب محفوظ وقصائد حسين مردان وخريف غابرييل غارسيا ماركيز .

مسح الخشب بأصابعه ، ثم أسند رأسه على يديه يشمّ ما بقي من أفكار برناردشو وشكسبير وديلان توماس ، يصغي الى نبض ماكتبوه .

عندما كان منسيا ،

عفوا ، هو مازال كذلك ، لكنه ــ بعد ان باع هؤلاء جميعا ــ صار الآن أكثر فقرا وتسامحا وطيبة وبساطة ، لم يختلف أي شي ، سوى انه تمكن من دفع ايجار البيت .

٥٠ * حيث لا مكان

يجلس ،

لا مكان يجلس فيه ، واذا ما وقف على طوله سيضرب سقف المكان .

لا ضوء ولا همس ولا أحد .

انه يتكور داخل ذلك الصندوق الحجري .. يتكوّر .. يتكوّر .. ويأخذ شكل اللحم المعلب او السردين .

٥١ * حب

قال انه (يحبني) وغط في نوم عميق ،

ما إن قال انه (يحبني) ثانية حتى غط في نوم عميق، لكنه في المرة الثالثة قال انه يحبني فعلا ، وغط في نوم أعمق .

ذلك هو السبب الوحيد ـ سيدي القاضي ـ في انني جئت اطلب الطلاق وأرجوك أن تصدقني قبل ان يصحو زوجي الوديع من نومه العميق ، سيدي القاضي ، معذرة ، زوجي مازال يظن انني أفضل (مخدة) في البيت .

٥٢ * حيث لا ضوء

ليس من ضوء فى المكان ،
ليس من أمل فى المكان ،
ليس ثمة مكان تحت الضوء ولا أي مكان تحت الأمل ، وبرغم ذلك تمكن ان يعيش وهو يبتسم على أمل يضيء المكان •
الحياة ــ كما يقول مع نفسه ــ لا يمكنها ان تنتهي هكذا ، ثم راح ينظر الى « النملة » الوحيدة التي فتحت باب غرفته نحو الشمس •
كان يومها اصغر من نملة •

٥٣ * السجين ٤٠١٠

السجين المرقم ٤٠١٠ وسيم ومهذّب وكتوم ، السجين المرقم ٣٠١٠ شرس وقبيح وغني •
السجين المرقم ٤٠١٠ يبكي بصمت ويسأل نفسه : كيف جرى ما جرى ؟ بينما السجين المرقم ٣٠١٠ يصرخ ويضرب ويشتم ويأكل بشراهة •
السجين المرقم ٤٠١٠ مات من الحزن
السجين المرقم ٣٠١٠ مايزال حيا ، يصرخ ويضرب ويأكل بشراهة •
كلاهما جاء هذا المكان بالتهمة نفسها •

٥٤ * محجـوز

ترك التأمل الى الكتابة : يلتسين يبدأ زيارة الى اسرائيل .
ترك الكتابة الى السوق : المكسيك تغرق فى الديون .
ترك السوق الى الخسرة : البوسنة تترنح فى معركة حاسمة .
ترك الخسرة الى النوم : لا أمل فى انهاء النزاع النووي بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية .

ترك النوم الى القبر : وفاة تسعة حجاج فى اندونيسيا بسبب الحرارة .
الناتحة .

٥٥ * فيديـو

الفيديو بعد الواحدة ليلا ، يعمل بهدوء وقح ، هذا أفضل كثيرا من السجن .

أخبر زوجته ان الليل جميل ، والفيلم جميل ، والاطفال نيام .

كلاهما راح يحدق الى الشريط الوقح الممتع ، كلاهما أبدا لم يتسكن من الاعتراف ان الفيديو أكثر منهما شجاعة وهدوءا ، وانهما ـ بالبلاهة ـ لم يدفعا بعد القسط الاخير من (وقاحته) .

ولو أنه تذكر أيامه البعيدة ـ هناك ـ أو تذكر ان الفيديو هكذا جميل وممتع ، او تذكر ان الزوجة هكذا طيبة وحلوة .. دخل السجن مطلقا .

٥٦ * جعبة الراس

ليس من فكرة فى جعبة الرأس ،

ليس من قصة فى ذاك الفراغ الرهيب الشاسع من الجمجمة،

ليس من بطل يسأله ولا من بطل قريب يستجير به ،

فراغ موجع ذليل لا يناسب كاتب قصة •

رفع عينيه الى رفوف الكتب المغمّسة بالاتربة والاساطير ، خطف فوق رأسه طائر (الكمركوف) ومرت قشتالة على بحر العرب ، سرقته امام عينيه ، تسللت العناكب الضوئية بين الثياب ثم تسلقت السلاحف اليونانية والزواحف الكهنوتية مسامات يديه وركبتيه •

نهض من مكانه ،

ثم شبك قلمه ولحسه بين غبار الكتب وغبار الزواحف والاحذية، وراح يكتب ماكان مكتوبا قبل مئات السنين •

٥٧ * شـــهيد

نحن ياسيدتي عائلة واحدة فى السراء وفى الضراء ، وقد حضر الشهيد العزيز ــ ابنكم الغالي ــ الى دارنا ، وتمّ تشييعه ودفنه من قبل أولادنا .. ومن الواجب أن نخبركم بما جرى .

معذرة ، فقد شعرنا انه من العيب ــ حين جاء الشهيد على عنوان دارنا ــ أن نقول انه (ابنكم) فقط، نحن ياسيدتي من بيتواحد وعائلة واحدة .. تعالي سيدتي ، نريد ان نقرأ الفاتحة على روح الشهيد .

عنوان البيت يعرفه كل أبناء المحلة ، وصوت الشهيد لابد أن يدلكم على المكان الذي نحن فيه .

٥٨ * في المقهى

ليلة الخميس الفائت ، كانت مقهى (العباقرة) مزحومة بالزبائن .

ينبوع من الثرثرة والضحك العالي ، ممزوج بسصب من التباهي والتواضع المصنوع ، الشاي المر والماء البارد والصرخات ، تختلط مع التبريكات والقصائد التي راح البعض يقرأها بحنجرة عنيدة مدربة .

لا احد يعرف شيئا عن اي شيء ، كلهم سعداء ، نعم، ربما يشكون من غياب المسرح الهادف ومن سقوط القصص القصيرة ورداءة الرواية وغباء الشعر المعاصر ، ربما صار حجم الشكوى أكبر من حجم المقهى ، لكنهم ، سعداء ، يعلمون حجم سعادتهم برغم التأوهات المغبركة والاحزان التي تتكدس فوق الوجوه .

هناك عبقري يقول وهو يشرب الشاي المر :

ــ انا اعرف ان اعجابك بروايتي ، إنما هي طريقة طريفة للضحك مني ، حتى تجعلني اعتقد واصدق بانك قرأتها وفهمت معناها العميق .. انا لا اريد اعجابك المبطن بسوء النية ، انت لم تقرأ الرواية ، انا واثق مما اقول، هل قرأت الف صفحة مرة واحدة ؟

اجابه القاريء المعجب مستغربا :

ــ لكنني قرأتها فعلا يا استاذ ، وانا معجب بها حقا ، ساحكي لك ماجاء فيها من اول صفحة الى نهايتها .. اذا سمحت لي طبعا .

ومضى يحكي الرواية ، بينما راح العبقري يصغي اليه ويهز

رأسه ، ثم ينظر الى بقية الزبائن على امتداد المقهى ، يفتش عن اذانهم ، عساهم يصغون معه الى روايته العبقرية !

بعد نصف شاعة ــ هو الوقت الذي اختصر به القاريء زمن الرواية وصفحاتها وابطالها ، إبتسم العبقري وقال بصوت عال:

ــ كنت اعرف انك قاريء ذكي جدا ، لكنني كما تعلم اؤمن بكلام (ارنست رينان) عندما قال : حينما نتعب لكي نجد الحقيقة، فان ذلك يكلفنا الاعتراف بان الطائشين هم الحكماء الحقيقيون .

لكن القاريء المعجب ، لم يعثر ابدا ، على أي معنى يربط هذا الكلام بالحوار البسيط الذي دار بينه وبين الروائي .. وقرر ، هكذا ، فجأة، ومنذ تلك الجلسة ان يكف عن قراءة هذا العبقري ، الى الابد .

٥٩ * رسالة

إغلق الباب واقترب ، ايها الكذّاب الجميل ، نوعك من البشر يحتاج الى سنوات من القتل حتى يفهم كيف يموت الشهيق فى الجسد البشري ، سترى المزيد من أشباح الماضي يسألونكَ عن وريد مقطوع وعن سياط النار التي فكّت لحومهم فى سراديب المتعة ، أي شيطان أنت ؟ كيف يمكنك ان تلتهم السمكة كلها وأنت قاب قوسين من الموت ؟

إغلق الباب وتعال أعطيك الدواء ، أنا ــ كما تعلم ــ أفضل من يؤدي (دور) العفاريت والجن والشياطين والقتلة (أنتَ من علّمني ذلك . كيف تراك نسيت ؟) .

٦٠ * مسلسل تلفزيوني

هناك مثل تركي يقول (إن قضاء ليلة بجانب امرأة دميمة وقضاء نهار فى تسلق جبل ، كلاهما لا نرى من نهاية له).

ومن هذه (الفكرة) اراد ان يكتب مسلسله التلفزيوني الجديد فى ١٣ حلقة فقط ، لكنه قبل ان يبدأ النصف الثاني من الحلقة الاولى ، نفد من نخاعه الشوكي أي امتداد معقول لتطوير هذا المثل الشعبي ، فقال فى ذات نفسه •

ـ احتاج الى احداث متشعبة وافكار عميقة حتى اخلق مسلسلا معقولا •

كانت قرب يديه حفنة من مجلات ، راح يمشي على اوراقها مثل نملة شجاعة ، يقرأ خبرا عن الزواج المثالي ، ويرى صورة للمطربة (داليدا) قبل انتحارها بأسبوع واحد ، اعجبته مشاكل الجنوب السوداني وتوقف عند حصار بيروت ، وقرأ كلمة طريفة كتبها طوني ماير يقول فيها (ليس للفتاة الا رغبة واحدة ، هي ان تتزوج وما ان تتزوج حتى يصبح لها رغبة فى كل شيء) •

ضحك من هذا الكلام الرخيص ، وحمد الله فى سره إنه يعيش فى بلد مسلم وان ادباء هذا البلد لا يكتبون كلاما فاحشا كهذا •

حدق فى اوراقه البيض الفارغة ، وفكر فى حلقات المسلسل ، وقرر ان تكون عشر حلقات بدلا من ثلاثة عشر ، وعاد الى مجموعة من الكتب المركونة على رفوف البيت ، عساه يعثر على فكرة ينطلق منها الى مسلسله الجديد ، لكن الكتب التي راح يفتحها

وينظفها من التراب الذي يزاحمها ، لم تسعفه ابدا ، فتح التلفزيون وراح يتابع مسلسل (غاوي مشاكل) وبعده بقليل كان يرى مسلسل (برج الاكابر) وكان قد نقل نفسه على الموجة الثانية حتى يرى مسلسل (صائمون والله اعلم) وبرغم هذا لم يستفد من اية فكرة ولم تدفعه تلك المسلسلات الى غايته فى ان يكتب شيئا مختلفا يهز اوساط المشاهدين فى كل مكان !

كان الوقت ، يمر بطيئا ، بلا مذاق ، لكنه يمشي برغم انفه ، حتى صارت الواحدة بعد منتصف الليل عندما سحبته سلاطين النوم الى جنة شاسعة من احلام رائعة ، رأى نفسه يكتب المسلسل ويعطيه الى التلفزيون ، وراح يراه فورا على الشاشة الصغيرة ، كم هي ممتعة تلك الحلقات (المبتكرة) من مسلسله الجميل ، كانت حلقات جد جميلة ومدهشة ، بحيث انه لم يستيقظ من النوم ، على الاطلاق !

٦١ * وما عليك سوى ..

ولا اريد سوى ...

ثم انهمر المطر ، وتسّرب التراب الى حفرة عمقها ذاك الجسد النحيف ، فى منتصف الليل ، اذا كان الشتاء صارما ، ينبغي دفع الجثة بسرعة ، ثمة فى المقبرة ، أكثر من بكاء ، هناك من يرى ان الموت ماعاد يرى الزوار والشحاذين ، ولا زوجته التي بقيت فى البيت تصغي الى شريط أحمق كان قد اخبرها فيه بأسماء وعناوين الديون المبعثرة عليه بين اقاربه وشلّة من اصدقاء الخمرة .

متحف صغير هو البيت ،

لا تفهم الزوجة معنى لوحة كان قد علّقها الراحل فى بهو المنزل ، قرأت اسم « علاء بشير » فى الطرف المنسي من «الكرسي» المكسور المربوط بحبل من دم ، مئات الكتب تزدحم هناك فى غرفته ، سيراميك ، أقلام من فضة لم يمسها أحد ، ألبومات صور تحكي أسفاره صوب طوكيو ، كازابلانكا ، جنيف ، ثم حيث أقام ــ أيام دراسته ــ خمس سنوات بين باريس ولوزان .

أي ثمن لهذا كله ؟ هل تسمح للتراب الناعم ان يبقى ثمة فوق (قسطنطين كفافى) أو (جوزيف برودسكي) ؟ لا وريث فى الدنيا غيرها ، وهذا الهراء الذي خلّفه زوجها لا يترك أي فرصة لديكور أجمل .

جاء الفجر ، ولم يصل النوم الى جفونها ، البيت صار بيتها تماما ، وكل شيء فيه يحتاج الى لمسة أنثى ، رحل الرجل ، ولم

يعد من أحد يفرض رأيا أو يقرأ فى كتاب ، ولا من أحد سوف يحدق الى تلك الجدران الغبيّة يسأل عن لون او فاجعة او معنى، ذلك يعني ــ على وجه الدقة ــ أنها سترفع (عامر العبيدي) و (ليلى العطار) وربما تتبرّع بالجناح العلوي كله ، بما فى ذلك (نوري الراوي) و (عبدالامير علوان) بل الصحراء التي لا حدود لتسوتها فى لوحة عليها اسم (جبار سلمان) كان زوجها قد جاء بها ذات صباح وهو يسحب خلفه الصحراء والهزيمة وبقايا خمرة فى الروح •

تسللت أصابعها على رأس (آلكسندر بلوك) وراحت تقرأ :

« الشاعر فى المنفى وفى الشكوك »

« على مفارق الدروب قد وقف »

غريب ما جرى فى لحظة شك ، طفرت من بين عينيها مثل أرنب طائش ، تدري ان زوجهـا كان شاعرا ، لعلها وحدها التي ما سمعته يقول الشعر وما قرأت يوما ماكان يكتبه ، مع ان دواوينه (تملأ الدنيا وتشغل الناس) وقد سمعته او سمعت عنه الكثير ولم تعبأ ولم تلتفت •

خطوة الى اليسار ، هناك حيث ينام ذاك الجزء المقطوع من زوجها الشاعر ، مدّت يدها بخوف وأمسكت بالطرف المدبب من ديوانه الاخير ، مسّها الخوف وهي ترى :

حين أعود الى بيتي كل مساء
يخرج حزني من غرفته مرتديا معطفه الشتوي

ويسير ورائي
أمشـــي ، يمشي
أجلس ، يجلس
أبكي ، يبكي لبكائي
حتى ينتصف الليل و... تتعب

كانت تنظر الى زوجها ، على ورق أبيض ، وقبل ان يمسّ النوم لحافها البارد ، قررت ــ هكذا فجأة ــ أن تعود الى زوجها، وأن تحتفظ به ، كان عليها ، والحال كذلك ، أن تحتفظ بمتحفه الصغير ، وذلك يعني انها ستذهب لزيارته وتعتذر تماما قبل أن ينقطع مطر الشتاء وقبل ان تجفّ ... القصائد .

* الكرسي : لوحـــة للفنان علاء بشير .
* الشعر للصديق الشاعر يوسف الصائغ.

٦٢ * العمـر

بالله عليك لاتستعجل •

لا فائدة من ذلك مطلقا ، ها أنت فى العشرين من العمر ، وقبل ان تصحو من نومك سترى كيف أصبحت فى الثلاثين ، انه محض حلم كبير هذا الذي قطعته فى طريقك نحو الاربعين •

أرجوك لا تستعجل ، لاشيء يستحق الركض واللهاث والسباق ، انظر الى نفسك اليوم ، ها أنت فى الخمسين من العمر ، هل لك أن تصدق ؟ وهل ترى بعد ذلك ما يستحق اللهاث والركض • أعني ــ بالله عليك ــ أما زلت تصدق ما ترى وما تسمع ؟

إرحم نفسك ولا تستعجل •

لا شيء يستحق كل تلك السنين التي رحلت •

٦٣ * الى الوراء

اذا عدت خمسة اعـوام الى الوراء ، بل ، سبع سنين على وجه الدقة، او لنقل : اذا رجعت عشرة اعوام الى شبابي ، سأعرف ماذا أفعل فى هذه الكومة المحترمة من السنين ، برغم أنني ارجو أن أعود ــ فعلا ــ خمسة عشر عاما حتى أبدأ الحياة بصـورة أفضل مما رأيت •

كـلا ،

لا أظن أن هذا الوقت يكفي لحياة أجمل ، انا أحتاج الى حفنة أكبر من السنوات التي رحلت عني ، أحتاجها تماما حتى أرمم هذا الشرخ الذي يتسع ويتسع ــ يوما بعد يوم ــ ما بين دمي وضلوعي •

على خشبة ، ربما على حرير ، فى الحلم ، أو عند حدود المستحيل ، صار الجرح الذي عشناه ألف سنة ، زهرة غاردينيا من نوع لم يزرع بعد ، قالت : أنا لا اصدق ما نحن فيه •

على خشبة ، قد نراها جمرة نار او بحر ثلوج ، قلت لها بهدوء:

ــ أنا أصدق ما نحن فيه ، عشت فيه عشرات السنين ولم يتجرأ اليأس على احتوائي •

وما عليك ، جاء البحر اليك ، على طرقات الماضي تنام وتصحو ، ترى نفسك ــ فجأة ــ فى المكان الذي تريد ، حياة كلها مفاجآت ، من يصدق انكما منذ قشور الضوء الى طعم الغزال مازلتما على قيد الحب ؟

معكِ ــ أيتها السيدة الكوكب ــ أمشي ، على ندى زحام جميل ، لا اسأل عن مجد او جمر أو شيء من المال يكفي جسدي، أشتهي عينيك ، لهما أبكي ، وعليهما أرتشف زيتوني وخمرتي وميلادي، وأسأل : من جاء بك الى هناك ؟ خطأ ، أم خطأ أكبر ؟ من جاء بنا ــ معا ــ الى ذلك البيت واحتوى دموعنا وجسدينا وماضينا مرة واحدة ؟

ربما على حرير ، أو على خشبة ، لا فرق بالنسبة لي ، أنا أحب هذا الطفل الذي ينام بين يديك ، اسمه ــ ربما ــ يشبه أسمي ، نجوم وشجر وثمة قاتل هناك لم نعد نفكر فيه ، على خاطري أغنية منكِ « سنين ومرت زيّ الثواني فى حبك أنت »

يا سلام عليك وأنتِ تخفين ضحكتك خلف أصابعك ، أنا لا أمنع نفسي من كرم الله، يسنحه لي على حين غفلة، يكفي أن هذا الوشم الذي رأيته على قلبي سميته ــ كما أتذكر ــ نافذتي او حلمي او ــ ــ إن شئت ــ أسمك أنتِ أيتها الحلوة الهمجية •

أحترق معكِ قرب خرير النبيذ المعتق ، هذا السكوت البوي تحت سقف من السنوات (من يصدق أنها أطول من حريق ؟) •• معذرة ، أنا حفيف الزيتون ، وموعد الصراخ ، وأنتِ معي : أكبر مني ، دعينا نساوم الماضي على أن ينسانا ونعطيه ما يشاء من عصافير وتوابيت وحُب ممنوع •

في الطريق الى (جراند بالاس) لم ينتشر البوليس ، ولم تسأل عنا شرطة المرور ، أية حرية ان نكون في (أثينا) أوعند عطر الياسمين لا يسأل عنا هذا المقاتل النزيه ولا تدري تلك (الشرقاوية) ما سوف تفعله في مذبح الكنيسة ، قلت لها، وأنا قرب المذبح المعتم :

ــ في السراء معكِ أينما ترحلين ، وفي الضراء عندك أينما تهربين ، أنا خائف" عليكِ مني ، وخائف على قلبي منك ، ثم ، قلت وداعا ، هي التي قالت وداعا ، وكنا نصغي الى « إن كنت قادر أحب تاني أحبك أنت » كما الصغار ، نأنس الى ملائكة من ورق وعشاق من تراب وكلام لم يعد من أحد ــ في الدنيا ــ يفهم حتى معناه •

لم أتكرر ، احجز نفسي كلها اليها ، وافتح نافذة واحدة

على شعاع مكيّف بالهواء ، وأقول مبتسما مع أحزاني : وحدها لي، ربما، لكنني وحدي لها مهما كانت حماقاتي وأخطائي وبرائتي، لا يمكن قطع هذا الحلم ، أو انتزاع هذا الحبل السري مرة واحدة، أنا دخن ذركِ أيتها المعطف الذي لمّ جروحي ، سألتني :

ــ أما زال لحمكَ بريئا من السموم ؟

قلت لها :

ــ أبدا ، أنا مسموم منذ طفولتي ، ولا أفهم معنى الزنبق ولا مجرى نهر النيل ، أفهم ــ كما تشائين ــ أنكِ الحب الذي أرى والزمان الذي أعيش .

خنجرا من الورد كانت ، وما تزال كما رأيتها أول مرة ، وردة تفتح جلدي بخنجرها الدموي اللذيذ، يالهذا الورد السكين، كيف صار سلطاني وسيدي وهزيمتي ؟

على خشبة من حرير الرياح ، ربما على حلم طافر لا أراه ، أزرع أشجارها في بيتي ، هي تزرع أشجاري في دارها البعيدة ، وتشرق معي كل يوم ، لا أساطير بعدنا وليس من نسل لشياطين الشوق دونها ، لا أعزف ــ بعد الليلة ــ أغنية ، ولا أكتب إحدى جرائمي ولن أزرع شوكة في الكرة الارضية ، الاّ ، يوم تسمعها وتفهم أسبابها وتراها في دفترها الذهبي الصغير .

غيمةٌ في صيف عابر ، مرت ، وانتهت على شرفة انتظاري العميق ، قلتُ لها في اليوم السابع عشر من شهري المبارك : أنا أرى بكِ الدنيا ، هي التي قالت ــ بينما القمر يستعمر لسانها ــ أنا أحبك جدا أيها الحقير .

وأيقنتُ فى تلك الساعة ، أن أشجاري رجعت تنمو ، وتكبر ، برغم أن المطر والحالوب مازالا يهمران خلف عاصفة أقل هياجا من دموعي ، ثم ، رجعتُ ــ كما هي طقوسي ــ أراها فى حلمي وأنظر ، كما هي عاداتي ، أن أرى أشجاري تنبت ــ هناك ــ فى بيتها البعيد .. جدا .

وحدي ، أصغي ، هادئا ، ملتهبا ، الى السنين التي مرت ؛ كما الثواني ، أتراها ، تصغي معي ، والفرق ، بين زمانها وزماني؛ ساعة واحدة حسب التوقيت (العالمي) المضحك ؟

أشجارها تنمو ، وهذا هو المهم فى بستاني ، وليس خطيرا أي فرق (زمني) بينها وبيني ، لا أحد منا يتذكر الوقت عندما نكون معا .

٦٥ * الزقـاق

إعتدنا أن نفرش بعض قشور الموز تحت غطاء من القش أو الورق على أرض زقاقنا لئلا يراها أحد ، وعن بعد ننظـر الى (ضحيتنا) القادمة ، حيث انزلق على هذه القشور عـدد ليس بالقليل من ابناء محلتنا •

وكم كان موجعا ــ بالنسبة لي ــ أن يكون أبي هو الضحية الجديدة ، وليس غريبا ان أقـول انه (مـات) على اثرها اذ تكور جسمه على هيئة بالونة ، واذ هو حاول أن يستوي على يديه تزحلق كعب حذائه فجأة واشج رأسه على حافة صخرية لبيت من البيوت •

لو أني يومها صرخت ، لما مات طبعا ، لكن اتفاقا قسريا جرى بين جميع أطفال الزقاق يشمل أي شخص يسر مهما كانت أهميته فى نفوسنا ، كما ان (أم حسين) التي جرحت قبل شهرين كانت سـببا فى ابقاء اللعبة مستمرة ، ذلك ان (حسينا) أراد أن يرى ذوينا وهم يجرحون أيضا •• ولما كنا نخاف بطشه فقد استمرت لعبتنا حتى جرى ما جرى ومات أبي •

لم يزل بيتنا مليئا بالحزن ،

لكن اللعبة مازالت تأخذ كل وقتنا ، بل تكلفنا مصروف يومنا كله ، فضلا عن بحثنا فى برميل النفايات عن قشور عتيقة تساعدنا على فرش مساحة اوسع من قشور الموز على أرض الزقاق •

عندما رأيت أبا حسين وهو يمشي بخط متعرج الى قشور الموز صرخت به :

ـ قف ، تمهل ، تعال من هنا ياعم .

غير أنه راح ينظر نحوي كمن يريد أن يشتمني ، بينما اختفى ابنه حسين خلف جدار عالٍ ورحت أصرخ :

ـ تعال يا عمي ، من هنا الطريق أحسن .

لم يكن يعرف السبب ، ومرّ فوق قشور الموز ، ولم أصدق ما رأيت ، ارتفعت بطنه فى خط مقوس تكرر ارتطامها فوق حجارة ناتئة قرب القشور وتجرحت أصابعه بينما تكسّر شيء ما فى داخل جسمه ، كنت أحسه يتجزأ شيئا بعد شيء كأنه آلة خربة انحلت صامولاتها .

قلت : انه يوشك أن يموت ، ورجعت أعوي علّ أبنه او أي انسان آخر يأتي ، لكن الزقاق كأنه حارة مسحورة كفّ البشر عن دخـولها فجأة ، بل ان صوتي ايضا ما عدت اسمعه ووجدت نفسي أغرق فى نعاس غريب ، لمحت نقاطا من الـدم تتجمد بين اصابعي ، هربت ، كانت أمي تبكي .. وتذكرت ان أبي قد مات هو الآخر لما تزحلق فى قشور الموز فجلست ابكي مثل بقية الناس ، ثم وجدت أنهم لا ينتهون من البكاء ، لم أحتمل، فخرجت الى الزقاق ثانية .

وجدت حسينا يرتعش من الخوف وهو يسأل :

ـ ماذا حدث ؟ كيف حال أبي ؟

نظرت اليه وفزعت ، كان حسين قد بلل نصف ثيابه وهـو واقف فى مكانه ، لم استطع الضحك منـه ، بينما ذهبنا نبحث عن ابيـه .

لكننا فى ممرات وفروع المحلة ، نسينا أبي ونسينا أم حسين واباه ونسينا قشور الموز اذ تزحلقنا عليها فى وقت واحد ، وبكينا جدا ، وعرفنا ـ سوية ـ اننا مازلنا اطفالا .

٦٦ * لكنها مهنة أيضا .

كان يقرأ فى جريدة ، وكان جالسا فى اوتوبيس نمرة ١٣ وكان عراقيا واسمه حسون .

مرت بضع دقائق وثمة رجل جالس الى جانبه يقرأ معه فى الجريدة .

وما ان نزل حسون فى شارع سليمان باشا حتى وجد نفسه تائها داخل زحمة المدينة واراد أن يعرف المكان الذي هو فيه .

لا يدري لماذا اراد ــ اولا ــ التخلص من الجريدة ، وكان قد قرأ كل اخبارها المهمة ، فرماها قرب كشك للسكاير ، ولم ينتبه حسون الى الرجل الذي اخذها ثانية وراح يمشي خلفه .

عندما سأل عن المكان الذي هو فيه ، قال له احد العابرين :

ــ انك فى قلب القاهرة .

وبرغم جوعه الى النساء لم يسأل عن فخذيها بل دخل الى اقرب دار للسينما ورأى فلما بشعا عن البيوت الشبحية .

ولما خرج حسون من السينما ــ مزروعا بالخــوف ــ كان الرجل الاخر مايزال خلفه .

دخل مطعما وبارا وكازينو وكاباريه والرجل مازال خلفه ، وعندما عاد الى شقته عند آخر الليل كان الرجل لم يزل يمشي خلفه وهو يخفي تحت ثيابه الجريدة .

وعندما دخل السيد حسون الى شقته ، كان الرجل الاخر قد ارتاح قليلا

عند الصباح كان حسون يقرأ فى عدد آخر من الجريدة ، وكان الرجل نفسه يمشي خلفه ثانيـة يدخل معه المطاعم ودور السينما والبارات والكازينوهات والكباريهات .

لكن حسون عندما دخل المرحاض فى سينما مترو ـ وكانت معه الجريدة ـ لم يستطع الرجل ان يدخل معه ، لكنه ظل ينتظر عند الباب .

وما ان خرج حسون حتى دخل مكانه الاخـر ، وراح يفتش عن أي أثر .

لم يجـد سوى الرائحة !

ومن يومها لعن هذه المهنة الوسخة ، وفكر فى زوجته واطفاله الذين يحبونه جدا ولا يعرفون مهنته ؟.

٦٧ * عالم بطيء جدا .

ببطء ، ربما كان ببطء يحفر فى ارض البيت .

كان الليل يدخل ببطء ايضا الى الداخل ، مما دفع « حسن حمزه » الى ان يسرع فى الحفر ، كان الليل ايضا يسرع فى ملء زوايا البيت .

ثم وجد نفسه مع الليل وجها لوجه دون ان يتمكن من حفر الجزء الذي يكفي لجثة صديقه « حمد فرحان » . وببطء تسلل الى عينيه النوم ، وبالبطء نفسه تسللت مئات من النمل وبضعة جرذان ، راحت تحفر فى جثة « حمد فرحان » ببطء ولذة .

كان يكفي يوم واحد فقط كي تتآكل الجثة ، لكن ببطء غريب تحركت أصابع « حسن حمزة » وببطء آخر تحركت رجلاه ، ثم وجد نفسه يصرخ فى جموع النمل والجرذان ، لكن دون خوف وببطء غاضب رجعت الجرذان الى جحورها واختفت العشرات من النمل فى أنف « حمد فرحان » ومنه تسربت الى داخل الجسد.

ثم بحركات قوية هائجة نزلت يداه على بقايا النمل ، ودون ان يعي ما كان يفعل تشوهت ملامح الجثة بحيث انه عندما رأى وجه صديقه الميت عوى ملء حنجرته وراح فى هذيان قاس يردد بينه وبين نفسه :

ــ لم يكن هذا ما أعنيه ، ابدا ، لم يكن هذا ما أعنيه.

لكن الجثة تشوهت جدا واعماق « حسن حمزة » تشوهت جدا ، ولما كان الفجر يمـر ببطء على البيت العتيق ، عاد حمزة

ليحفر ثانية ، ولكن ، هذه المرة راح يحفر بسرعة وجنون ، بينما كان الليل بعيدا لا يدري اذا كان رجوعه سيغير شيئا فى بيت السيد حسن حمزة او سيعيد الحياة الى جسد صديقه حمد فرحان؟

كان اليل للمرة الاولى ينطق باللغة العربية ، بينما كان السيد حسن يضحك بدون لغة، ويصفق للجثة كلما نزلت الى قاع البيت.

لما تأكد من نزولها فى عمق التربة ، خرج الى الناس وهو يضحك ويصفق ويقول :

ــ حمد فرحان ما زال عندي فى البيت ومازال صديقي .

وببطء احس كل الناس ان حسن حمزة قد قتل صديقه حمد فرحان .

٦٨ * ليلة واحدة .

في واحدة من ليالي العمر العسيرة ، رأيت نفسي في حلم عسير ، كان خلف ظهري الكثير من البشر ، مزحومين بالسراء وبالضراء . قال واحد منهم : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا.. » واستغربت مما يدورحولي. وما يقال ضدي، آيات من القرآن أسمعها واحدق في شخوصها ، انهم معي ، بين يدي ، فوق رأسي ، تحت عيني ، أبحث عن سبب لكل هذا الدوار الذي صار يشلني ويسحبني من يدي .. لكنني ما ان استيقظت وبحثت عما جرى ، لم أجد غير السماء الزرقاء ، وابني (عمر) الصغير يغني ، ورأيت سحابة سوداء ابتعدت ، ثم ابتعدت بسرعة، نظرت الى ذيولها ، وأيقنت ان الدنيا ما زالت بخير ، وان ليلة عسيرة واحدة قد مرت ، وسحابة سوداء واحدة قد ابتعدت ، وان العمر طويل جدا .

● * ●

٦٩ * باراسايكولوجي •

فى الثانية بعد منتصف الليل ، قـرر ان يرى بغـداد وهي خالية من زعيق السيارات وهرج الباعـة واغنيات الراديو التي تكررت آلاف المرات •

كان عليه أن يقول (رغبته) الغريبة ، يبررها أمام زوجته ، إذ ليس من رجل عاقل يترك بيته فى وقت كهذا ، لكن الزوجة كانت تغـطّ فى نوم عميق وليس من المعقـول أن يوقظها حتى يخبرها بما يفكـر •

حقا ، ليس ثمـة ما هو أجمل من بغـداد فى آخـر الليل ، انها مدينة من طراز المدن الساحرة ، دجلة يمشي هادئا ، وكان يمشي مثله ، ترك الباب الشرقي فى طريقه الى الكرادة ، بين دقيقة وأخرى تمرق سيارة سكرانة ترنح سائقها طربا وهو يغنّي معها•

سماء بغداد صافية تماما ، النجوم يسامر بعضها بعضا ، والكون كله فى حالة من الزهو ، يمشي الوقت مع الشوارع والصمت ، مع أمواج دجلة التي بات يشعر بها •

ـ بعد أعوام قليلة ، أتقاعد عن عملي ، أنام فى النهار وأخرج فى آخر الليل ، انها متعة كبيرة حقا •

فى الخامسة صباحا ، وبعد ثلاث ساعات من اللذة التي حولته الى ملاك ناعم طروب ، عاد الى بيته ، يبتسم صوب طيور النيل التي كانت تغازله وتطير فوق رأسه الصغير •

كان البيت فارغا الاّ من غرفة النوم ، فارغا تماما ،

قرر أن يترك زوجته فى نومها السعيد ، إذ أنها سوف تكتشف بنفسها كيف جاء اللصوص وكيف سرقوا البيت .

ولم يمنعه الحزن الكبير على اثاث البيت من قرار آخر : أن يرى بغداد ثانية فى آخر الليل ، لاسيما وان زوجته لن تعرف بهذا القرار الذي نفّذه ولم يخبرها به ، نام قربها وراح يغطّ فى نوم عميق بعد ان فكر مرتين :

ــ كيف عرف اللصوص ، فورا ، بهذا القرار ؟

٧٠ * حوار في مقهى .

كان الاول ينظر الى وجه صديقه ويبتسم ، يفتح فمه ويغلقه دون صوت وبلا كلام ، كان أخرس منذ طفولته ، بينما راح صديقه يهزّ رأسه (موافقا) على إحساس مفاجيء مرّ باهرا بين الضلوع ، كان هذا الصديق أطرش منذ طفولته أيضا .

وهكذا إستمر بينهما أجمل حوار فى الكرة الارضية ، بينما راح المقهى كله يصغى الى حوارهما بحب عجيب !

٧١ * الخاتمة

قبل صلاة الفجر ، كان ضوء غرفته لم يزل يملأ بعض زوايا البيت ، عندما اقتربت زوجته لتسأل عما يفعله فى تلك الساعة الحرجة من الليل ؟ وبرغم انها اقتربت كثيرا وصار شهيقها يسبقها انيه، لكنه لم يرفع رأسه ولم يسأل عن الوقت الذي كان فيه .

عادة ما تكون خاتمة « القصة » التي يكتبها ، حالة من حالات الهستيريا ، او حالة من حالات الخوف ، وربما حالة من حالات العوم فى بحر عميق بعيد .

وأيقنت الزوجة ـ بعد هذه السنين الطوال ـ ان زوجها يكتب الخاتمة ، برغم انها لا تدري لماذا ترتبط كلمة الخاتمة ـ عادة ـ بالطلاق ؟ .

« قصص »

ـ فلاسفة ٨
ـ موظف ٩
ـ ناقد ؟ ١٠
ـ رجل على حصان ١١
ـ حوار ١٢
ـ الرياضة فى أسبوع ١٣
ـ روائي ؟ ١٤
ـ العصفور ١٥
ـ تلفزيون ١٦
ـ مذيعة ١٦
ـ أديب ؟ ١٨
ـ بيروت ١٩
ـ جريدة ٢٠
ـ دخول القصيدة ٢١
ـ مسئلة ٢١
ـ ناقد محترم ٢٣
ـ مخرج ٢٤

ـ حدود البيت	٢٦
ـ بقية ليل	٢٧
ـ مكان	٢٨
ـ غرفة	٢٨
ـ أغبياء	٢٨
ـ موت	٢٩
ـ حرمان	٢٩
ـ مسرح	٣٠
ـ حلوى	٣٠
ـ المقبرة	٣١
ـ قارئة الكف	٣١
ـ مغرور	٣٢
ـ نهاية حرب	٣٢
ـ فراش الوداع	٣٣
ـ آلة كاتبة	٣٤
ـ غابة العمر	٣٤
ـ صالحة للنشر	٣٥
ـ البيت	٣٦
ـ تمثال	٣٧
ـ قبيح	٣٨
ـ مدمن	٣٩
ـ الكنز	٤٠

ـ شاعر حكومي ٤١
ـ شاعر مـا ٤٣
ـ شاعر ثالث ٤٥
ـ كاظم الساهر ٤٦
ـ الشـك ٤٨
ـ مجرد لعبة ٥٠
ـ مسـبحة ٥٢
ـ الملـك ٥٣
ـ نهـايات ٥٤
ـ ايجار البيت ٥٦
ـ حيث لا مكان ٥٧
ـ حُـب ٥٧
ـ حيث لا ضوء ٥٨
ـ السجين ٤٠١٠ ٥٨
ـ محجـوز ٥٩
ـ فيديـو ٥٩
ـ جعبة الرأس ٦٠
ـ شـهيد ٦١
ـ فى المقهى ٦٢
ـ رسـالة ٦٣
ـ مسلسل تلفزيوني ٦٤
ـ وما عليك سوى .. ٦٦

ـ العمـــر	٦٩
ـ الى الوراء	٧٠
ـ خنجر من الورد	٧١
ـ الزقـــاق	٧٥
ـ لكنها مهنة ايضا	٧٨
ـ عالم بطيء جدا	٨٠
ـ ليلة واحدة	٨٢
ـ باراسايكولوجي	٨٣
ـ حوار فى مقهى	٨٤
ـ الخاتمـــة	٨٥

صدرت للقاص عبدالستار ناصر :

١ ــ الرغبة فى وقت متأخر	١٩٦٨	بغداد
٢ ــ فوق الجسد البارد	١٩٦٩	بغداد
٣ ــ تلك الشمس كنت أحبها	١٩٧١	بغداد
٤ ــ طائر الحقيقة	١٩٧٤	بغداد
٥ ــ موجز حياة شريف نادر	١٩٧٥	دمشق
٦ ــ لا تسرق الوردة رجاء	١٩٧٨	دمشق
٧ ــ مرة واحدة والى الأبد	١٩٧٩	بغداد
٨ ــ أوراق امرأة عاشقة	١٩٨٢	بيروت
٩ ــ الشمس عراقية	١٩٨٣	بغداد
١٠ ــ أوراق رجل عاشق	١٩٨٤	بغداد
١١ ــ زهرة واحدة تكفي	١٩٨٤	بغداد
١٢ ــ الحب رميا بالرصاص	١٩٨٥	القاهرة
١٣ ــ مطر تحت الشمس	١٩٨٦	القاهرة
١٤ ــ لا عشاء بعد الليلة	١٩٨٧	القاهرة
١٥ ــ نساء من مطر	١٩٨٧	بغداد
١٦ ــ السفر الى الحب	١٩٨٨	بغداد
١٧ ــ امرأة فى البريد	١٩٩٠	بغداد
١٨ ــ أحبك دائما	١٩٩٠	بغداد
١٩ ــ شمبارة الميمونة	١٩٩٣	بغداد
٢٠ ــ ليلة السحلب	١٩٩٤	بغداد

• هذه القصص جاءت عبر ما يقرب من عشرين سنة ، جمعتها من ذاكرة المجلات والصحف العراقية والعربية ، وتركتها على حالها الاول ، حرصاً على الشكل الذي كانت عليه يوم نشرها ..

بصراحة ، لا اعلم الكثير عن تاريخ كل واحدة من هذه القصص القصيرة جداً ،

لكنني اتذكر انني كتبتها على غفلة من الوقت والنساء والنقد ، تماماً كمايفعل « المجرم » قبل اقترافه الجريمة .

اليوم ، ساعترف ، بانني سعيد جداً بهذه القصص او هذه الجرائم القصيرة جداً .

المؤلف

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
- بغداد - ١٩٩٦ -

الاشراف فنية محمد عبد الوهاب
الغلاف للفنان : حمدي مخلف الحديثي

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة